

بقلم
سعيد عبد العظيم
عفا الله عنه



توزيع
مكتبة المعارف الحديثة
٢٣ شارع تاج الرؤوساء سابا باشا
ت : ٥٧١٣٦٥٦

مقدمـــة :

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدى ، هدى محمد - ﷺ - ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار .

لاشك أن الجهل بالأشهر العربية ، وشيوع استخدام الأشهر التى تعتبرها العجم والروم والقبط ، قد أوقع المسلمين فى كثير من المخالفات الشرعية ، وباعد بينهم وبين رضوان ربهم ، حيث تركوا بسبب ذلك كثيرًا من الطاعات والقربات ، وأطلت البدع برأسها ، ولهذا وغيره تمكن الأعداء من رقابنا ، وأخر ربنا النصر عنا ، لذا لزم التذكير بأمر الله ، وتأكدت الوصية بالأشهر العربية ، لعظيم خطر هذا الأمر وما ينطوى عليه من معانٍ ، بل هذه الوصية ، هى من الوصية بتقوى الله تعالى التى أمر بها الأولين والآخرين ﴿ **ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله** ﴾ ولا سبيل لتعظيم شعائر الله ، وتحليل الحلال وتحريم

الحرام إلا بمعرفة الأشهر العربية ، ومعرفة ما جاء فيها من أحكام وعبادات ، وأساس التقوى كما يقول العلماء ، أن يعلم العبد ما يُتقى ثم يتقى ، والجهل لم يورث أصحابه يومًا تقى حتى وإن حسنت نواياهم ، فلابد وأن نعبد الله على نور من الله نرجو ثواب الله ، وأن نترك معصية الله على نور من الله نخاف عقاب الله ، وهذا يتطلب منا بذل النصيحة لأهلها وتوضيح السنن حتى وإن كانت مستحبة ، وتحذير المسلمين من البدع حتى وإن اشتهرت وذاعت وشاعت . **ومن جملة هذه البدع** ، استبدال الأشهر العربية بالأشهر الميلادية أو الإفرنجية ، بحيث لم نعد نعرف غيرها ولا نحسب إلا بها وشب على ذلك الصغير وهرم على ذلك الكبير ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

قال القرطبى فى تفسير قوله تعالى : ﴿ **إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض** ﴾ « هذه الآية تدل على أن الواجب تعليق الأحكام من العبادات وغيرها إنما يكون بالشهور والسنين التى تعرفها العرب ، دون الشهور التى تعتبرها العجم والروم والقبط وإن لم تزد على اثنى عشر شهرًا ، لأنها مختلفة الأعداد ، منها ما يزيد على ثلاثين ومنها ما ينقص ، وشهور العرب لا تزيد على ثلاثين وإن كان منها ما ينقص ، والذى ينقص ليس يتعين له شهر ، وإنما تفاوتها فى النقصان والتمام على حسب اختلاف سير القمر فى البروج ا.هـ .

فإذا أردنا أن ندور مع إسلامنا حيث دار ، ولابد وأن نفعل بإذن

الله فعلينا بتحكيم شرع الله فى كل جانب من جوانب الحياة ، ويشمل ذلك العودة إلى استخدام الأشهر العربية وتقديمها على ما عداها « **ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب** » . وهذا أوان الشروع فى المقصود ، والله المستعان ، وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

كتبها

سعيد عبد العظيم

غفر الله له

غربـــة

غربة الأشهر العربية عند المسلمين ، هى من مظاهر غربة الإسلام وسط أهله وبنيه . فقلما تجد من يحصيها ويعرفها أو تعرف على وظائف أيامها وأحكامها ، ففى الوقت الذى تجد فيه الجميع يعرف شهر مارس وإبريل تلمس الجهالة المطبقة بشهر ذى القعدة وشهر ذى الحجة ، ويكفى أن توجه سؤالاً عن اليوم والشهر العربى الذى نحن فيه لتتحقق من غربة الأوضاع وحجم الإنحراف الذى آلت إليه الأمة فى عصورها المتأخرة ، هذا الانحراف الذى ما ترك شيئًا من حياتنا إلا وشمله حتى فيما يتعلق بهذه الأشهر التى قال الله عنها : ﴿ **إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا فيهن أنفسكم** ﴾ .

الأشـــهر العربيـــة

وهى على التوالى : **المحرم ، صفر ، ربيع الأول ، ربيع الثانى ، جمادى الأولى ، جمادى الثانية ، رجب ، شعبان ، رمضان ، شوال ، ذو القعدة ، ذو الحجة** . والشهر قيل مأخوذ من الشهرة وهى الانتشار فيكون بذلك ما اشتهر وسط الناس وقيل (الشهر) الهلال سمى به لشهرته ووضوحه ثم سميت الأيام به وجمعه شهور وأشهر . جاء فى المصباح المنير « ويحكى أن العرب حين وضعت الشهور وافق الوضع الأزمنة فاشتق للشهور معانٍ من تلك الأزمنة ثم كثر حتى استعملوها فى الأهلة وإن لم توافق ذلك الزمان فقالوا (رمضان) لما أرمضت الأرض من شدة الحر و (شوال) لما شالت الإبل بأذنابها للَطروق و (ذو القعدة) لما ذللوا القعدان للركوب و (ذو الحجة) لما حجوا و (المحرم) لما حرموا القتال أو التجارة و (الصفر) لما غزوا فتركوا ديار القوم صفرًا و (شهر ربيع) لما أربعت الأرض وأمرعت و (جمادى) لما جمد الماء ورجب (لما رجبُّوا الشجر) و (شعبان) لما أشعبوا العود . اهـ. وقد بينت الآيات ، أن الله سبحانه وضع هذه الشهور وسماها بأسمائها على ما رتبها عليه يوم خلق السموات والأرض ، وأنزل ذلك على أنبيائه فى كتبه المنزلة ، وحكمها باق على ما كانت عليه لم يزلها عن ترتيبها تغيير المشركين لأسمائها ، وتقديم المقدم فى الاسم منها ، وحيثما وردت كلمة الشهر أو الشهور أو الأشهر فى الكتاب والسنة ، فإنها لا تنصرف إلا إلى الأشهر العربية أى التى تعرفها العرب ، والتى ارتبطت الأحكام بها ،

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ أى رمضان . وقال تعالى : ﴿ **يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج** ﴾ وأشهر الحجر شوال وذو القعدة واختلفوا فى ذى الحجة ، هل هو بكماله من أشهر الحج أو عشر منه . على قولين للعلماء ، وقال سبحانه : ﴿ **إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم** ﴾ وهذه الأربعة هى : رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم .

بداية الشهر ونهايته

يثبت الشهر برؤية الهلال أو إكمال عدة الشهر السابق ثلاثين يومًا لما رواه ابن عمر رضى الله عنهما قال : « **تراءى الناس الهلال ، فأخبرت رسول الله** - ﷺ - : **أنى رأيته فصام وأمر الناس بصيامه** » رواه أبو داود والحاكم وابن حبان وصححاه ، وعن أبى هريرة : أن النبى - ﷺ - قال : « **صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يومًا** » رواه البخارى ومسلم ، والهلال مأخوذ من الظهور ورفع الصوت فطلوعه فى السماء إن لم يظهر فى الأرض فلا حكم له لا باطنًا ولا ظاهرًا واسمه مشتق من فعل الآدميين يقال : أهللنا الهلال واستهللناه ، فلا هلال إلا ما استهل ، فإذا استهله الواحد والاثنان فلم يخبرا به فلم يكن ذاك هلالاً ، فلا يثبت به حكم حتى يخبرا به ، فيكون خبرهما هو الإهلال الذى هو رفع الصوت بالإخبار به ولأن التكليف يتبع العلم ، وقد ذهب أغلب الأئمة إلى أنه لا عبرة باختلاف المطالع فمتى رأى الهلال أهل بلد ، وجب الصوم على جميع البلاد لقوله - ﷺ - : « **صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته** » رواه أحمد والنسائى وله شواهد صحيحة من حديث عبدالرحمن بن زيد ابن الخطاب . **وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله كلامًا قيمًا فى إثبات العمل بالهلال وترتب الأحكام عليه فقال : قال الله تعالى : ﴿ يسألونك عن الأهلة ، قل هى مواقيت للناس والحج ﴾ فأخبر أنها مواقيت للناس ، وهذا عام فى جميع أمورهم ، وخص الحج بالذكر تمييزًا له ، ولأن الحج**

تشهده الملائكة وغيرهم ، ولأنه يكون فى آخر شهور الحول . فيكون علمًا على الحول . كما أن الهلال علم على الشهر ، ولهذا يسمون الحول حجة فيقولون : له سبعون حجة ، وأقمنا خمس حجج . **فجعل الله** الأهلة مواقيت للناس فى الأحكام الثابتة بالشرع ابتداء أو سببًا فى العبادة والأحكام التى تثبت بشروط العبد . فما ثبت من المؤقتات بشرع أو شرط فالهلال ميقات له ، وهذا يدخل فيه الصيام والحج ، ومدة الإيلاء والعدة وصوم الكفارة ، وهذه الخمسة فى القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ **شهر رمضان** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **الحج أشهر معلومات** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **فصيام شهرين متتابعين** ﴾ وكذلك قوله : ﴿ **فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر** ﴾ وكذلك صوم النذر وغيره . وكذلك الشروط من الأعمال المتعلقة بالثمن ، ودين السلم ، والزكاة ، والجزية ، والعقل ، والخيار ، والأيمان ، وأجل الصداق ، ونجوم الكتابة ، والصلح عن القصاص ، وسائر ما يؤجل من دين وعقد وغيرهما . وقال تعالى : ﴿ **والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورًا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك إلا بالحق** ﴾ فقوله : « لتعلموا » متعلق والله أعلم بقوله : « وقدره » لا بجعل ، لأن كون هذا ضياء . وهذا نورًا لا تأثير له فى معرفة عدد السنين والحساب وإنما يؤثر فى ذلك انتقالهما من برج إلى برج . ولأن الشمس لم يعلق لنا بها حساب شهر ، ولا سنة ، وإنما علق ذلك بالهلال ، كما دلت عليه تلك الآية ، ولأنه قد قال : ﴿ **إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم** ﴾ فأخبر أن الشهور

معدودة اثنا عشر ، والشهر هلالى بالاضطرار ، فعلم أن كل واحد منها معروف بالهلال » ا.هـ .

ويُسن عند رؤية الهلال أو العلم به أن نقول : « الله أكبر ، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام ، والتوفيق لما تحب وترضى ، ربنا وربك الله » رواه الدارمى بسند صحيح .

حد اليوم والليلة

اليوم أوله من طلوع الفجر الثانى إلى غروب الشمس ولهذا من فعل شيئًا بالنهار وأخبر به بعد غروب الشمس يقول فعلته أمس لأنه فعله فى النهار الماضى . قال صاحب المصباح المنير واستحسن بعضهم أن يقول أمس الأقرب أو الأحدث إلى أن قال : والعرب قد تطلق (اليوم) وتريد الوقت والحين نهارًا كان أو ليلاً فتقول ذخرتك لهذا اليوم أى لهذا الوقت الذى افتقرت فيه إليك ولا يكادون يفرقون بين يومئذ وحينئذ وساعتئذ » . والنهار فى اللغة من طلوع الفجر إلى غروب الشمس وهو مرادف لليوم وفى الحديث : « **إنما هو بياض النهار وسواد الليل ولا واسطة بين الليل والنهار** » وفى رواية البخارى ومسلم : « **إنما ذلك سواد الليل ، وبياض النهار** » وجاء فى المصباح : « وربما توسعت العرب فأطلقت (النهار) من وقت الإسفار إلى الغروب وهو فى عرف الناس من طلوع الشمس إل يغروبها وإذا أطلق (النهار) فى الفروع انصرف إلى اليوم نحو صم نهارًا أو اعمل نهارًا لكن قالوا إذا استأجره على أن يعمل له نهار يوم الأحد مثلاً فهل يحمل على الحقيقة اللغوية حتى يكون أوله من طلوع الفجر أو يُحمل على العرف حتى يكون أوله من طلوع الشمس لإشعار الإضافة به لأن الشىء لا يضاف إلى مرادفه نقل فيه وجهان وقياس هذا اطراده فى كل صورة يضاف فيها النهار إلى اليوم كما لو حلف لا يأكل أو لا يسافر نهار يوم كذا والأول هو الراجح دليلاً لأن الشىء قد يضاف إلى نفسه عند اختلاف اللفظين نحو « ولدار

الآخرة » و « حق اليقين » وما أشبه ذلك » اهـ والليلة من غروب الشمس إلى طلوع الفجر ، ويجوز إطلاق البارحة على الليلة الماضية وإن كان قبل الزوال كما قال النووى واستدل على ذلك بحديث سمرة بن جندب قال : « **كان النبى – ﷺ – إذا صلى الصبح أقبل عليهم بوجهه فقال هل رأى أحد منكم البارحة رؤيا** » رواه مسلم . قال النووى : وقول ثعلب وغيره أنه لا يقال البارحة إلا بعد الزوال يحتمل أنهم أرادوا أن هذا حقيقته ولا يمتنع إطلاقه قبل الزوال مجازًا ويحملون الحديث على المجاز وإلا فمذهبهم باطل بهذا الحديث ا.هـ . وعتمة الليل ظلام أوله عند سقوط نور الشفق وتكون بعد غيبوبة الشفق إلى آخر الثلث الأول . والعشى : قيل ما بين الزوال إلى الغروب ومنه يقال للظهر والعصر « صلاتا العشى » وقيل هو آخر النهار وقيل « العشى » من الزوال حتى الصباح وقيل « العشى » و « العشاء » من صلاة المغرب إلى العتمة وعليه قول ابن فارس « العِشاءان » المغرب والعتمة كما قال صاحب المصباح . والغدوة هى ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس ثم ينبغى أن نعلم ، أن الليل والنهار كلاهما له وظائفه وأحكامه فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام إلى الليل** ﴾ يقول القرطبى : والصوم فى الشرع : الإمساك عن المفطرات مع اقتران النية به من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، وتمامه وكماله باجتناب المحظورات وعدم الوقوع فى المحرمات ، لقوله عليه السلام : « **من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه من أجله** » ا.هـ . ولما سأل عمر رسول الله – ﷺ – فقال : « أنى نذرت أن أعتكف ليلة بالمسجد الحرام » فقال له النبى – ﷺ – : « **أوف بنذرك** » رواه البخارى ومسلم ، وروى عن

أبى بكر أنه قال لعمر رضى الله عنهما : « **إن لله عز وجل حقًا بالليل لا يقبله بالنهار وحقًا بالنهار لا يقبله بالليل ، وإن الله لا يقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة** » وكان البعض يقول : « **الليل والنهار صحبا قوم نوح وعاد وثمود وقرونًا بين ذلك كثيرًا فأسلمتهم إلى ربهم وقدمت بهم على أعمالهم ، فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزًا** » .

بدعة العمل بالحساب الفلكى

اعلم رحمك الله : أن الأمة لم تكن تعمل فى دخول الشهر وخروجه ، وتحديد الليل والنهار أو فى معرفة وقت الفجر وغيره بالحسابات الفلكية . وقد وردت النصوص الشرعية بتحديد كل وقت على حدة وتوضح للأمة على أى شيء يكون مدار العمل ومن ذلك ما رواه مسلم عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله - ﷺ - : « **لا يغرنكم من سحوركم أذان بلال ولا بياض الأفق المستطيل هكذا حتى يستطير هكذا** » ومعنى حتى يستطير ، أى ينتشر ضوؤه ويعترض فى الأفق بخلاف المستطيل ، والاستطارة هذه تكون بعد غيبوبة ذلك المستطيل وعن عبد الله بن عمرو : أن رسول الله - ﷺ - قال : « **وقت الظهر إذا زالت الشمس ، وكان ظل الرجل كطوله مالم يحضر العصر ، ووقت العصر مالم تصفر الشمس ، ووقت صلاة المغرب مالم يغب الشفق ، ووقت صلاة العشاء إلى نصف الليل الأوسط ، ووقت صلاة الصبح من طلوع الفجر مالم تطلع الشمس ، فإذا طلعت الشمس فأمسك عن الصلاة ، فإنها تطلع بين قرنى شيطان** » رواه مسلم وعن جابر أن رسول الله - ﷺ - جاءه جبريل فقال له : « قم فصله ، فصلى الظهر حين زالت الشمس ، ثم جاءه العصر فقال : قم فصلهّ ، فصلى العصر حين صار كل شيء مثله ، ثم جاءه المغرب فقال : قم فصلّه فصلى المغرب حين وجبت الشمس (غربت وسقطت) ثم جاءه العشاء فقال قم فصلّه . فصلى العشاء حين غاب الشفق ثم جاءه الفجر حين برق الفجر ، « أو قال : سطع الفجر ، ثم جاءه من الغد

للظهر فقال قم فصله . فصلى الظهر حين صار ظل كل شيء مثله ، ثم جاءه العصر فقال : قم فصله فصلى العصر حين صار ظل كل شيء مثليه ، ثم جاءه المغرب وقتًا واحدًا لم يزل عنه ، ثم جاءه العشاء حين أسفر جداً فقال : قم فصله فصلى الفجر ، ثم قال : « ما بين هذين الوقتين وقت » رواه أحمد والنسائى والترمذى وأسفر أى أضاء الصبح .
فتأمل هذه الأدلة وغيرها وهى كثيرة توقن أن الله قد أغنانا وكفانا وبها يرتفع الاشكال ويزول الاضطراب الذى يحدث بين الناس فى تحديد الأوقات ، وما علينا إلا أن نتعرف على السنن وقد كان العرب من أجود الناس معرفة بهذه المعانى ، ثم توهم التطور والتحضر والتقدم مع مخالفة السنن ومصادمة نصوص الشريعة ضلال مبين ، قال تعالى : ﴿ **إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم** ﴾ أى للتى هى أسد وأعدل وذلك فى كل ناحية من نواحى الحياة ، وقد بدع العلماء من عمل بالحساب والعدد فى الأهلة وبين غير واحد أن العمل بالحساب فى رؤية الهلال وغيره من الأحكام لا يجوز بالنصوص والإجماع يقول ابن تيمية : « **فإنا نعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن العمل فى رؤية هلال الصوم أو الحج أو العدة أو الإيلاء أو غير ذلك من الأحكام المعلقة بالهلال بخبر الحاسب أنه يرى أو لا يرى لا يجوز** » والنصوص المستفيضة عن النبى - ﷺ - بذلك كثيرة ، وقد أجمع المسلمون عليه ولا يعرف فيه خلاف قديم أصلاً ، ولا خلاف حديث ، إلا أن بعض المتأخرين من المتفقهة الحادثين بعد المائة الثالثة زعم أنه إذا غم الهلال جاز للحاسب أن يعمل فى حق نفسه بالحساب ، فإن كان الحساب دل على الرؤية صام وإلا فلا .
وهذا القول وإن كان مقيدًا بالإغمام ومختصًا بالحاسب فهو شاذ ، مسبوق بالإجماع على خلافه . فأما اتباع ذلك فى الصحو أو تعليق عموم

الحكم العام به فما قاله مسلم . وقال فى موضع آخر رحمه الله : « **ولا ريب أنه ثبت بالسنة الصحيحة واتفاق الصحابة أنه لا يجوز الاعتماد على حساب النجوم** ، كما ثبت عنه فى الصحيحين أنه قال : « **إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب ، صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته** » والمعتمد على الحساب فى الهلال ، كما أنه ضال فى الشريعة ، مبتدع فى الدين ، فهو مخطىء فى العقل ، وعلم الحساب . فإن العلماء بالهيئة يعرفون أن الرؤية لا تنضبط بأمر حسابى وإنما غاية الحساب منهم إذا عدل أن يعرف كم بين الهلال والشمس من درجة وقت الغروب مثلاً ، لكن الرؤية ليست مضبوطة بدرجات محدودة فإنها تختلف باختلاف حدة النظر وكلاله ، وارتفاع المكان الذى يتراءى فيه الهلال وانخفاضه ، وباختلاف صفاء الجو وكدره ، وقد يراه بعض الناس لثمان درجات وآخر لا يراه لثنتى عشر درجة ، ولهذا تنازع أهل الحساب فى قوس الرؤية تنازعا مضطربا ، وأئمتهم : كبطليموس ، لم يتكلموا فى ذلك بحرف لأن ذلك لا يقوم عليه دليل حسابى وإنما يتكلم فيه بعض متأخريهم ، مثل كوشياز الديلمى ، وأمثاله لما رأوا الشريعة علقت الأحكام بالهلال ، فرأوا الحساب طريقًا تنضبط فيه الرؤية ، وليست طريقة مستقيمة ، ولا معتدلة ، بل خطؤها كثير وقد جرب ، وهم يختلفون كثيرًا : هل يرى ؟ أم لا يرى ؟ وسبب ذلك : أنهم ضبطوا بالحساب مالا يعلم بالحساب ، فأخطأوا طريق الصواب ، وقد بسطت الكلام على ذلك فى غير هذا الموضع وبينت أن ما جاء به الشرع الصحيح هو الذى يوافقه العقل الصريح ، كما تكلمت على حد اليوم أيضًا ، وبينت أنه لا ينضبط بالحساب ، لأن اليوم يظهر بسبب الأبخرة المتصاعدة ، فمن أراد أن يأخذ حصة العشاء من حصة الفجر ، إنما يصح كلامه لو كان الموجب لظهور النور وخفائه مجرد محاذاة

الأفق التى تعلم بالحساب ، فأما إذا كان للأبخرة فى ذلك تأثير والبخار يكون فى الشتاء والأرض الرطبة أكثر مما يكون فى الصيف والأرض اليابسة وكان ذلك لا ينضبط بالحساب ، فسدت طريقة القياس الحسابى . ولهذا توجد حصة الفجر فى زمان الشتاء أطول منها فى زمان الصيف . والآخذ بمجرد القياس الحسابى يشكل عليه ذلك ، لأن حصة الفجر عنده تتبع النهار وهذا أيضًا مبسوط فى موضعه . والله سبحانه أعلم وصلى الله على محمد ا.هـ.

فتوى هامة للشيخ ابن باز - حفظه الله -
علم الحساب لا يعتمد عليه فى إثبات الصوم والفطر والأحكام الشرعية بإجماع سلف الأمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد : فقد رأست الدورة السادسة لندوة توحيد التقويم الهجرى المنعقدة فى مكة المكرمة من يوم الثلاثاء ١٤٠٦/١/١٠ هـ حتى يوم الخميس ١٤٠٦/١/١٢ هـ - وقد أعد فى هذه الجلسات بيانات توضح مطالع الشهور القمرية لعامى ١٤٠٧ هـ - ١٤٠٨ هـ وخمسة أشهر من عام ١٤٠٩ هـ وفق الحساب الذى يستعمله الفلكيون ، ولم أوقع على البيان والجداول خشية أن يظن من يطلع عليها أننى موافق على إثبات الصوم والفطر والأحكام الشرعية بالحساب .

وقد أفهمت اللجنة ذلك وأوضحت لها أن إثبات الأهلة والأحكام الشرعية إنما يكون بالرؤية أو إكمال العدد كما نص على ذلك نبينا محمد - ﷺ - فى أحاديث صحيحة منها قوله - ﷺ - : « **صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين** » متفق عليه ، ومنها قوله - ﷺ - : « **لا تقدموا الشهر حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة ثم صوموا حتى تروا الهلال أو تكملوا العدة** » رواه النسائى وأبو داود بإسناد صحيح ومنها قوله - ﷺ - : « **إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا وعقد الإبهام فى الثالثة**

والشهر هكذا وهكذا يعنى تمام الثلاثين » متفق عليه ، وهذا لفظ مسلم . والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة ، أما توحيد التقويم بالحساب فلا مانع أن يعتمد عليه فى المسائل الإدارية ونحوها وللإيضاح والنصيحة وبراءة الذمة رأيت نشر هذا البيان ، وفق الله الجميع لما يحب ويرضى إنه جواد كريم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والافتاء
والدعوة والإرشاد
عبد العزيز بن عبد الله بن باز

وإذا كان الإهلال ليس له عندهم من جهة الحساب ضبط ، لأنه لا يضبط بحساب فإن الكسوف والخسوف قد يُعرف لمن صح حسابه مثل معرفة كل أحد أن ليلة الحادى والثلاثين من الشهر لابد أن يطلع الهلال وإنما يقع الشك ليلة الثلاثين كما ذكره ابن تيمية . ثم الأمية المذكورة فى قول النبى - ﷺ - : « إنا أمة أمية .. » الحديث بالنسبة إلى حساب الهلال وكتابته ممدوحة من وجوه من جهة الاستغناء عن الكتاب والحساب ، بما هو أبين منه وأظهر وهو الهلال ، ومن جهة أن الكتاب والحساب هنا يدخلهما غلط . ومن جهة أن فيهما تعبا كثيرًا بلا فائدة ، فإن ذلك شغل عن المصالح ، إذ هذا مقصود لغيره لا لنفسه ، وإذا كان نفى الكتاب والحساب عنهم للاستغناء عنه بخير منه ، وللمفسدة التى فيه كان الكتاب والحساب فى ذلك نقصًا وعيبًا ، بل سيئة وذنبًا ، فمن دخل فيه فقد خرج عن الأمة الأمية فيما هو من الكمال والفضل السالم عن المفسدة ، ودخل فى أمر ناقص يؤديه إلى الفساد والاضطراب ، وأيضًا فإنه جعل هذا وصفًا للأمة . كما جعلها وسطًا فى قوله تعالى : ﴿ **جعلناكم أمة وسطا** ﴾ فالخروج عن ذلك اتباع غير سبيل المؤمنين ، وأيضًا فالشىء إذا كان صفة للأمة لأنه أصلح من غيره ، ولأن غيره فيه مفسدة : كان ذلك مما يجب مراعاته ، ولا يجوز العدول عنه إلى غيره (أفاده ابن تيمية) بل اتفق العلماء على أن من رأى النبى - ﷺ - فى منامه فقال له هذا اليوم هو أول يوم من رمضان ، لا يعمل بهذه الرؤيا إذ مدار الأمر على ثبوت الرؤية بالعين البصرية ، ولهذا مازال العلماء يعدون من خرج عن ذلك إلى الأخذ بالحساب أو الكتاب ، كالجداول ، وحساب التقويم والتعديل .. قد أدخل فى الإسلام ماليس منه فيقابلون هذه الأقوال بالإنكار الذى يقابل به أهل البدع ، وحسبك أن تكتفى بما

أغناك الله به وبينه لك ، فلا صلاة إلا بعد دخول وقتها حتى وإن خالف النتيجة والصيام من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس حتى وإن خالف التقويم، والحيطة مطلوبة مع عدم مخالفة النصوص والسلامة لا يعدلها شيء ولا داعى فى ذلك كله لإثارة الفتن وإحداث القلاقل فشرع الله مصلحة كله ولن تعدم النصح والبيان وفق الضوابط الشرعية .
فتعلم من دينك ما تحيا به حياة الاستقامة وتقيم به واجب العبودية .

تغريـــب

حدث ذلك عندما تباعدت الأمة عن دينها فوقعت فريسة سهلة فى يد أعدائها ، وكانت الهوة الكبيرة بين المسلمين ودينهم ، مما أدى إلى ذلك الانفصال المريب بين الدين والدولة وبين العلم والعمل ، وبين بعض الساعات والبعض الآخر ، وأصبحت الدنيا فى واد والآخرة فى واد ثانٍ وانفصلت الأرض عن السماء وبعض العبادات عن البعض الآخر .. وحرص هؤلاء الأعداء ومن تابعهم من الأذناب على تنفير المسلمين من كل شيء له علاقة بالدين كاللغة العربية والأشهر العربية ، حتى لا نتذكر شيئًا من ديننا ولا ما يذكرنا به .

وقد تفنن هؤلاء الأعداء فى أساليب الغزو الفكرى واستخدموا من أجل ذلك كل الأسلحة من إعلام وتعليم وغيرها ، ووصل بنا الحال إلى أن أصبحنا نضاهى الغرب فى كل شيء حتى فى شهوره وما ارتبط بها من بدع والخرافات . **يقول ابن تيمية : « وقد بلغنى أن الشرائع قبلنا أيضًا إنما علقت الأحكام بالأهلة وإنما بدل من بدل من أتباعهم ، كما يفعله اليهود فى اجتماع القرصين ، وفى جعل بعض أعيادها بحساب السنة الشمسية ، وكما تفعله النصارى فى صومها حيث تراعى الاجتماع القريب من أول السنة الشمسية ، وتجعل سائر أعيادها دائرة على السنة الشمسية بحسب الحوادث التى كانت للمسيح ، وكما يفعله الصابئة والمجوس وغيرهم من المشركين فى اصطلاحات لهم ، فإن منهم**

من يعتبر بالسنة الشمسية فقط ، ولهم اصطلاحات فى عدد شهورها : لأنها وإن كانت طبيعية ، فشهرها عددى وضعى ، ومنهم من يعتبر القمرية لكن يعتبر اجتماع القرصين ، وما جاءت به الشريعة هو أكمل الأمور وأحسنها وأبينها وأصحها وأبعدها من الاضطراب . ا.هـ فهل يجوز بعد ذلك أن نستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير ؟!! اللهم لك الحمد بالإيمان ولك الحمد بالإسلام ، تم نورك فهديت فلك الحمد ، وعظم حلمك فغفرت فلك الحمد ، وبسطت يدك فأعطيت فلك الحمد ، لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت .

إنما النسىء زيادة فى الكفر

جاء فى كتاب العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين ص ١٤٠ ج(١) : « اختلف الأخبار فى أول من أنسأ : ففي بعضها : أنه مالك بن كنانة وهذا فى تاريخ الأزرقى وفى بعضها : أنه القلمس وهو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن خزيمة . وهذا فى السيرة لابن إسحاق ، تهذيب ابن هشام ، وفى بعضها غير ذلك – وآخر من أنسأ أبو ثمامة جنادة بن عوف وقيل إنه أنسأ أربعين سنة والله أعلم . وأما صفة الإنساء فذكر الأزرقى مطولاً والسهيلى مختصرًا مفيدًا لأنه قال وأما نسؤهم الشهر الحرام فكان على ضربين .

أحدهما : ما ذكره ابن إسحاق من تأخير شهر المحرم إلى صفر لحاجتهم إلى شن الغارات وطلب الثأر .

الثانى : تأخيرهم الحج عن وقته تحريًا منهم للسنة الشمسية فكانوا يؤخرونه فى كل عام أحد عشر يومًا أو أكثر قليلاً حتى يدور الدور إلى ثلاث وثلاثين سنة – فيعود إلى وقته ا.هـ وفى الأزرقى ما يقتضى أن الحج يستدير فى كل أربع وعشرين سنة والله أعلم . وفى تفسير قوله تعالى : ﴿ **إنما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين** ﴾ . قال الإمام ابن كثير : « هذا مما ذم الله تعالى به المشركين من تصرفهم فى شرع الله بآرائهم الفاسدة ، وتغييرهم أحكام الله بأهوائهم الباردة ، وتحليلهم ما حرم الله وتحريمهم ما أحل الله ، فإنهم كان فيهم من القوة الغضبية والشهامة

والحمية ما استطالوا به مدة الأشهر الثلاثة فى التحريم المانع لهم من قضاء أو طارهم من قتال أعدائهم ، فكانوا قد أحدثوا قبل الإسلام بمدة تحليل المحرم فأخروه إلى صفر فيحلون الشهر الحرام ويحرمون الشهر الحلال ليواطئوا عدة ما حرم الله الأشهر الأربعة أ.هـ وكانت العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إلى أبى ثمامة جنادة بن عوف فقام فيهم خطيبًا فحرم رجبًا وذا القعدة وذو الحجة ويحل المحرم عامًا ويجعل مكانه صفر ويحرمه عامًا ليواطىء عدة ما حرم الله فيحل ما حرم الله يعنى ويحرم ما أحل الله

- يقول ابن تيمية : « **ومن عرف ما دخل على أهل الكتابين والصابئين والمجوس ، وغيرهم فى أعيادهم وعباداتهم وتواريخهم وغير ذلك من أمورهم من الاضطراب والحرج ، وغير ذلك من المفاسد : ازداد شكره على نعمة الإسلام مع اتفاقهم أن الأنبياء لم يشرعوا شيئًا من ذلك ، وإنما دخل عليهم ذلك من جهة المتفلسفة الصابئة الذين أدخلوا فى ملتهم وشرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ، فلهذا ذكرنا ما ذكرنا حفظًا لهذا الدين عن إدخال المفسدين ، فإن هذا مما يخاف تغييره ، فإنه قد كانت العرب فى جاهليتها قد غيرت ملة إبراهيم بالنسىء الذى ابتدعته ، فزادت به فى السنة شهرًا جعلتها كبيسًا ، لاغراض لهم . وغيروا به ميقات الحج والأشهر الحرم ، حتى كانوا يحجون تارة فى المحرم وتارة فى صفر ، حتى يعود الحج إلى ذى الحجة ، حتى بعث الله المقيم لملة إبراهيم فوافى حجه - ﷺ - حجة الوداع ، وقد استدار الزمان كما كان ، ووقعت حجته فى ذى الحجة ، فقال فى خطبته المشهورة فى الصحيحين وغيرهما : « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض : السنة اثنا عشر شهرًا منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات : ذو القعدة ، وذو الحجة ، ومحرم ،**

ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان » وكان قبل ذلك الحج لا يقع فى ذى الحجة حتى حجة أبى بكر سنة تسع كان فى ذى القعدة ، وهذا من أسباب تأخير النبى - ﷺ - الحج ، وأنزل الله تعالى : ﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم ﴾ فأخبر الله أن هذا هو الدين القيم ، ليبين أن ما سواه من أمر النسىء وغيره من عادات الأمم ليس قيمًا ، لما يدخله من الانحراف والاضطراب » ا.هـ وإذا كان من بدل شهرًا مكان شهر يُذم فكيف يكون شأن من ترك الأشهر العربية واستبدلها بالأشهر الميلادية !!

الحذر من مظاهر موالاة المشركين

قال تعالى : ﴿ **والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير** ﴾ [الأنفال : ٧٣] قال الإمام ابن كثير ومعنى قوله : « **إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير** » أى إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين وإلا وقعت فتنة فى الناس وهو التباس الأمر واختلاط المؤمنين بالكافرين فيقع بين الناس فساد عريض طويل ا.هـ فمن أصول العقيدة الإسلامية أنه يجب على كل مسلم يدين بهذه العقيدة أن يوالى أهلها ويعادى أعداءها فيحب أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم ويبغض أهل الإشراك ويعاديهم وذلك من ملة إبراهيم والذين معه ، الذين أمرنا بالاقتداء بهم حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا بُراءؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا حتى تؤمنوا بالله وحده** ﴾ [الممتحنة : ٤] وقال تعالى محذرًا المؤمنين من ولاية الكافرين : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين** ﴾ [المائدة : ٥١] والآيات فى هذا المعنى كثيرة ، وللولاء والبراء مظاهر تدل عليهما ومنها إعانتهم ومناصرتهم على المسلمين ومدحهم والذب عنهم والتشبه بهم فى الملبس والكلام وغيرهما وكذلك الاستعانة بهم وتوليتهم المناصب واتخاذهم بطانة ووزراء ومستشارين ومشاركتهم فى أعيادهم أو

مساعدتهم فى إقامتها أو تهنئتهم بمناسبتها أو حضور إقامتها ويدخل فى ذلك أيضًا مدحهم والإشادة بما هم عليه من المدنية دون نظر إلى عقائدهم ودينهم الفاسد وكذلك التسمى بأسمائهم والاستغفار لهم والترحم عليهم . والسفر إلى بلادهم والإقامة عندهم لا لغرض شرعى كالعلاج والتجارة والتعليم والدعوة ، ومن جملة مظاهر موالاة الكافرين أيضًا التأريخ بتاريخهم خصوصًا التاريخ الذى يعبر عن طقوسهم وأعيادهم كالتاريخ الميلادى ، والذى هو عبارة عن ذكرى مولد المسيح عليه السلام والذى ابتدعوه من أنفسهم وليس هو من دين المسيح عليه السلام ، فاستعمال هذا التاريخ فيه مشاركة فى إحياء شعارهم وعيدهم ، وإقامة الملة الحنيفية تقتضى مخالفة المشركين وسائر أصناف أصحاب الجحيم وعدم التشبه بهم لقول النبى – ﷺ – : « **من تشبه بقوم فهو منهم** » وتشابه الظواهر قد يجر إلى تشابه البواطن ولذلك فالخطر عظيم فى متابعتهم فى أشهرهم الإفرنجية وترك الأشهر العربية .

مبدأ التاريخ الإسلامى

لما أراد الصحابة رضى الله عنهم وضع تاريخ للمسلمين فى عهد الخليفة عمر -رضى الله عنه- عدلوا عن تواريخ الكفار وأرخوا بهجرة الرسول -ﷺ- مما يدل على وجوب مخالفة الكفار فى هذا وفى غيره مما هو من خصائصهم ، وفى ذلك يقول الشيخ ابن عثيمين : فى الضياء اللامع من الخطب الجوامع ص ٦٠-٦١ ج ٢ : « **ولقد كان ابتداء التاريخ الإسلامى منذ عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- حيث جمع الناس سنة ست عشرة أو سبع عشرة من الهجرة فاستشارهم من أين يبدأ التاريخ فقال بعضهم يبدأ من مولد النبى -ﷺ- وقال بعضهم يبدأ من بعثته وقال بعضهم يبدأ من هجرته وقال بعضهم يبدأ من وفاته ولكنه -رضى الله عنه- رجح أن يبدأ من الهجرة** لأن الله فرق بها بين الحق والباطل فجعلوا مبتدأ تاريخ السنين فى الإسلام سنة الهجرة لأنها هى السنة التى كان فيها قيام كيان مستقل للمسلمين وفيها تكوين أول بلد إسلامى يسيطر عليه المسلمون فاتفق فيه ابتداء الزمن والمكان ثم إن الصحابة الذين جمعهم عمر تشاوروا من أى شهر يبدؤن السنة فقال بعضهم من ربيع الأول لأنه الشهر الذى قدم فيه النبى -ﷺ- مهاجرًا إلى المدينة ، وقال بعضهم من رمضان لأنه الشهر الذى نزل فيه القرآن **واتفق رأى عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم على ترجيح البداءة بالمحرم لأنه شهر حرام ويلى ذى الحجة الذى فيه أداء الناس حجهم الذى به تمام أركان الإسلام لأن الحج آخر ما فرض من الأركان الخمسة ثم أنه يلى الشهر الذى بايع فيه النبى -ﷺ- الأنصار على الهجرة وتلك المبايعة من مقدمات الهجرة فكان أولى الشهور**

بالأولية شهر المحرم

عباد الله : إن علينا أن نشكر الله على ما يسره لنا من هذا الحساب البسيط الميسر وإن على الأمة الإسلامية أن تجعل لنفسها وجودًا وكيانًا مستقلين مستمدين من روح الدين الإسلامى وأن تكون متميزة عن غيرها فى كل ما ينبغى أن تتميز به من الأخلاق والآداب والمعاملات لتبقى أمة بارزة مرموقة لا تابعة لغيرها هاوية فى تقليد من سواها تقليدًا أعمى لا يجر إليها نفعًا ولا يدفع عنها ضررًا وإنما يظهرها بمظهر الضعف والتبعية وينسيها ما كان عليه أسلافها ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها فالتاريخ اليومى يبدأ من غروب الشمس ، والشهرى يبدأ من الهلال والسنوى يبدأ من الهجرة ، هذا ما جرى عليه المسلمون وعملوا به واعتبره الفقهاء فى كتبهم فى حلول آجال الديون وغيرها ا.هـ .

لم يكن التاريخ السنوى معمولا به فى أول الإسلام حتى كانت خلافة عمر ابن الخطاب – رضى الله عنه – ففى السنة الثالثة أو الرابعة من خلافته – رضى الله عنه – كتب إليه أبو موسى الأشعرى – رضى الله عنه – أنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ فجمع عمر الصحابة رضى الله عنهم فاستشارهم فيقال إن بعضهم قالوا أرخوا كما تؤرخ الفرس بملوكها كلما هلك ملك أرخوا بولاية من بعده فكره الصحابة ذلك فقال بعضهم أرخوا بتاريخ الروم فكرهوا ذلك أيضًا واستقر الأمر فى النهاية على ابتداء السنة الإسلامية الهجرية من الشهر المحرم الحرام **وهكذا فأنت ترى كيف كان الصحابة رضى الله عنهم على علم ومعرفة بتواريخ الفرس والروم وأنهم عن عمد خالفوها ، فكيف نتنكب الصراط ونخالف طريق من رضى الله عنهم ورضوا عنه**

وكل خير فى اتباع من سلف ... وكل شر فى ابتداع من خلف

هل تعرف ما تنطوى عليه الأشهر الإفرنجية من معانٍ ؟

فإذا كانت الإجابة بالنفى فكيف تجيز لنفسك النطق بها وقد ورد التحذير من الرق بالأعجمية إذ قد تنطوى على معانٍ شركية ، **وقد سئل الإمام أحمد رحمه الله فقيل له إن للفرس أيامًا وشهورًا يسمونها بأسماء لا تعرف فكره ذلك أشد الكراهة** وروى عن مجاهد أنه كان يكره أن يقال آذار ماه . ولا أدل على ذلك أيضًا من قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا** ﴾ وهذه الكلمة كانت فى اليهود قبيحة وكانوا يقصدون بها التنقص من شخص رسول الله - ﷺ - فنهى الله المؤمنين عن النطق بها مع أن المؤمن إذا نطق بهذه الكلمة قد لا يخطر بباله ما كان يقصده اليهود ، فكيف يسوغ لنا تداول وإشاعة الأشهر الإفرنجية وبعضها كان بمنزلة الآلهة عند اليونان ، وهل يشفع لنا جهلنا بمعناها وجريان العرف باستخدامها !! وخصوصًا إذا كان هذا الاستخدام على حساب الأشهر العربية التى أمرنا بمتابعتها والعمل بالأحكام التى تعلقت بها !! ويكفى هنا أن نذكر أن **شهر إبريل** (**نيسان**) وهو الشهر الرابع من السنة الإفرنجية وعدة أيامه ثلاثون يومًا كان **يمثل مطلع الربيع** وكان الرومان قد خصصوا اليوم الأول من هذا الشهر لاحتفالات « فينوز » وهى آلهة الحب والجمال وملكة المرح والضحك والسعادة عندهم . وقد كانت الأرامل والعذارى يجتمعن فى روما وفى معبد « فينوز » ويكشفن لها عن عاهاتهن الجسمية والنفسية ويبتهلن إليها لتخفيها عن أنظار أزواجهن . وأما الأقوام الساكسونية

فكانت تحتفل فى هذا الشهر بعيد آلهتهم « إيستر » وهى إحدى آلهتهم القديمة وهو الاسم الذى يطلق عليه الآن « عيد الفصح » عند النصارى فى اللغة الإنجليزية . **وقد اقترن بهذا الشهر ما يسمى بكذبة إبريل** ، فذكر بعضهم أنها نشأت مع احتفالات الربيع ويرى فريق آخر أن هذه البدعة تمتد إلى عصور قديمة واحتفالات وثنية لارتباطها بتاريخ معين فى بداية فصل الربيع ، إذ هى بقايا طقوس وثنية . وعامة الأشهر الميلادية لا تقل فى فساد معناها عن شهر إبريل - ولنا أن نأسف اليوم لعدول كثير من المسلمين عن التاريخ الهجرى إلى تاريخ النصارى الميلادى الذى لا يمت إلى دينهم بصلة ولئن كان لبعضهم شبهة من العذر حين استعمر بلادهم النصارى وأرغموهم على أن يتناسوا تاريخهم الإسلامى الهجرى فليس لهم الآن أى عذر فى البقاء على تاريخ النصارى الميلادى وقد أزال الله عنهم كابوس المستعمرين وظلمهم وغشمهم ولقد سمعتم ما قيل من أن الصحابة رضى الله عنهم كرهوا التأريخ بتاريخ الفرس والروم يقول الشيخ ابن عثيمين - حفظه الله - فى إحدى خطبه عن الشهور الهلالية أنها : « مواقيت للناس كلهم بدون تخصيص لا فرق بين عرب وعجم ذلك لأنها علامات محسوسة ظاهرة لكل أحد يعرف بها دخول الشهر وخروجه فمتى رؤى الهلال من أول الليل دخل الشهر الجديد وخرج الشهر السابق ليست كالشهور الإفرنجية شهورًا وهمية غير مبنية على مشروع ولا معقول ولا محسوس بل هى شهور إصطلاحية مختلفة بعضها واحد وثلاثون يومًا وبعضها ثمانية وعشرون يومًا وبعضها بين ذلك لا يعلم لهذا الاختلاف سبب حقيقى معقول أو محسوس ولهذا طرحت مشروعات فى الآونة الأخيرة لتغيير هذه الأشهر على وجه منضبط لكنها عورضت من قبل الأحبار والرهبان فتأمل أيها المسلم كيف يعارض رجال

دين اليهود والنصارى فى تغيير أشهر وهمية مختلفة إلى اصطلاح أضبط لأنهم يعلمون ما لذلك من خطر ، ورجال دين الإسلام ساكتون ، بل مقرون لتغيير الوقت بالشهور الإسلامية، بل العالمية التى جعلها الله لعباده حيث عدل عنها المسلمون أكثرهم إلى التوقيت بالشهور الإفرنجية .

ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا

من رحمة الله بعباده أن جعل الشمس والقمر حسبانًا ففى الشمس معرفة الفصول وفى القمر حسبان الشهور وجعل الله السنة اثنى عشر شهرًا ، كما جعل الحساب الشرعى العربى مبنيًا على الشهور الهلالية لأن لها علامة حسية يفهمها الخاص والعام وهى رؤية الهلال فى المغرب بعد غروب الشمس فمتى رؤى الهلال فقد دخل الشهر المستقبل وانتهى الشهر الماضى . والسنة القمرية عبارة عن ثلاثمائة وأربعة وخمسين يومًا وبعض يوم خمس أو سدس . وإنما يقال فيها ثلاثمائة وستون يومًا جبرًا للكسر فى العادة – عادة العرب فى تكميل ما ينقص من التاريخ فى اليوم والشهر والحول كما يقول ابن تيمية ، وأما الشمسية فثلاثمائة وخمسة وستون يومًا وبعض يوم : ربع يوم . ولهذا كان التفاوت بينهما أحد عشر يومًا إلا قليلاً تكون فى كل ثلاثة وثلاثين سنة وثلث سنة : سنة ولهذا قال تعالى : ﴿ **ولبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعًا** ﴾ بحساب السنة القمرية . وإذا كانت عادات الأمم قد انقسمت فى شهرهم وسنتهم فالذى جاءت به شريعتنا أكمل الأمور ، لأنه وقت الشهر بأمر طبيعى ظاهر عام يدرك بالأبصار ، فلا يضل أحد عن دينه ، ولا يشغله

مراعاته عن شيء من مصالحه ، ولا يدخل بسببه فيما لا يعنيه ، ولا يكون طريقًا إلى التلبيس فى دين الله كما يفعل بعض علماء أهل الملل بمللهم .

شبهات وأجوبة

الشبهة الأولى : « ناقل الكفر ليس بكافر »

أورد القرآن كلام بعض الكفرة كفرعون مثلاً فى قوله : ﴿ **أنا ربكم الأعلى** ﴾ وقوله : ﴿ **ما علمت لكم من إله غيرى** ﴾ وقوله : ﴿ **ما أوريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد** ﴾ وقوله لقومه : ﴿ **أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى** ﴾ ، وقد ردد البعض هذه الشبهة وهو يروج ويشيع الأشهر الإفرنجية ولا مستمسك له فيها ، إذ القرآن لم يذكر هذه الكلمات الكفرية على سبيل الإقرار بها بل دحضها، وآيات الله مليئة ببيان معانى التوحيد والرد على شبهات المشركين والملحدين ، فهل نحن صنعنا ذلك مع الأشهر الإفرنجية حين ذكرناها ؟! وهل بيّنا مخالفاتها لكتاب الله وسنة رسول الله - ﷺ - كعيد رأس السنة الميلادية مثلاً، بل وعدم جواز العمل بها رأساً إذ هذا من شأنه أن يبطل العمل بالأشهر العربية وبما انطوت عليه من أحكام وقديمًا قالوا : ما دخلت بدعة إلا وخرجت فى المقابل سنة وليس معنى ذلك أننا نكفر أو نفسق أعيان الناس ، إذا نطقوا بهذه الأشهر الإفرنجية أو عملوا بها، إذ الناس يهرفون بما لا يعرفون، وهم عندنا هنا قد ورثوا الإسلام وجهلوا معانيه ولم تقم عليهم الحجة الرسالية قياما يتأكد

معه أن يحيىٰ من حيّ عن بينة وأن يهلك من هلك أيضًا عن بينة ، والجهل عذر لأصحابه وخصوصًا مع غربة الحال وضياع الإسلام وسط أهله وبنيه ، بل قد يكون القول كفرًا ويطلق القول بتكفير قائله ، أما الشخص المعين فلا يكفر إلا بعد قيام الحجة الرسالة عليه وهذه الحجة يقيمها عالم أو ذو سلطان مطاع . **قال شيخ الإسلام : « وحقيقة الأمر فى ذلك أن القول قد يكون كفرًا ، فيطلق القول بتكفير قائله ، ويقال : « من قال كذا فهو كافر » لكن الشخص المعين الذى قاله لا يكفر حتى تقوم عليه الحجة التى يكفر تاركها : من تعريف الحكم الشرعى من سلطان أو أمير مطاع ، كما هو المنصوص عليه فى كتب الأحكام ، فإذا عرفه الحكم ، وزالت عنه الجهالة قامت عليه الحجة »** ا.هـ نقلاً من محاسن التأويل للقاسمى (٥/١٣١٠) ونقل القاسمى أيضًا عن شيخ الإسلام قوله : **« التكفير إنما يكون بإنكار ما علم من الدين بالضرورة أو بإنكار الأحكام المتواترة المجمع عليها »** وقوله : **« لو فرض أن رجلاً دفع التكفير عمن يعتقد أنه ليس بكافر حماية له ونصرًا لأخيه المسلم لكان هذا غرضًا شرعيًا حسنًا ، وهو إذا اجتهد فى ذلك فأصاب فله أجران ، وإن اجتهد فيه فأخطأ فله أجر »** مجموع الفتاوى ٣/٢٢٩ - ٢٣١ - ٢٨٢ - ٢٨٨ .

وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : « وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذى على قبر عبد القادر والصنم الذى على قبر أحمد البدوى وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم ، فكيف نكفر من لم يشرك بالله أو لم يهاجر إلينا ولم يكفر سبحانك هذا بهتان عظيم » ا.هـ من صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان للسهسوانى . وقد ذكر

ابن تيمية وغيره : أن لحوق الوعيد لمن فعل المحرم مشروط بعلمه بالتحريم وأن من نشأ ببادية أو كان حديث عهد بالإسلام وفعل شيئًا من المحرمات غير عالم بتحريمها لم يأثم ولم يحد وإن لم يستند فى إستحلاله إلى دليل شرعى ، غير أن الإنسان إذا تمهدت له سبل العلم فعليه أن يأخذ بالأسباب لرفع الجهالة عن نفسه .

الشبهة الثانية : الإخبار بابه أوسع من الإنشاء

قد يقول قائل : نحن نتكلم بالأشهر الإفرنجية ونرددها على سبيل الإخبار لا الإنشاء إذ مجال الإخبار كما هو معلوم أوسع من مجال الإنشاء ومن أدلة ذلك : قول النبى - ﷺ - يوم حنين : **أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب** ، **والمطلب ليس من أسماء الله الحسنى** . كذلك قوله - ﷺ - : « **يا بنى عبد مناف لا تمنعوا أحدًا طاف بهذا البيت فى آية ساعة من ليل أو نهار** » ومناف أيضًا ليس من أسماء الله وإنما ذُكر ذلك على سبيل الإخبار بما هو معلوم ومعروف عند الناس، وشبيه بذلك قولهم بنى عبد شمس وعبد الدار .... وكذلك قولنا اليوم : مارس ، إبريل ، مايو ... إنما قصدنا بها الإخبار عن الواقع الذى لا يعرف الناس غيره .

وللإجابة عن هذه الشبهة نقول : ما ذكرتموه هو من جملة الحق الذى أريد به باطل وإلا فهل عمل عمر والصحابة بالأشهر الإفرنجية مع معرفتهم بها ؟ وهل الأمر اقتصر على مجرد الإخبار أم تعداه إلى إبطال العمل بالأشهر العربية وأحكامها ؟ ثم من الذى بيّن معنى الأشهر الإفرنجية وبطلانها كما بيّن النبى - ﷺ - التوحيد وما ينافيه من الشرك حينما تكلم بالأخبار المذكورة ؟ ولماذا نستسلم لمخططات الأعداء ونرضى بهذا الواقع المرير ؟ ومتى إذن سنأمر بالمعروف وننهى عن المنكر ؟ فإذا كان الناس قد حفظوا عن ظهر قلب هذه الأشهر الإفرنجية وهى غريبة عنهم فما أيسر أن يتعلموا الأشهر العربية التى ارتبطت بها أحكام دينهم .

تفضيل جنس العجم على العرب : نفاق
وتقديم اللغة العربية والأشهر العربية على غيرها

جاء فى الحديث « **حب العرب إيمان ، وبغضهم نفاق** » وقد وردت الأحاديث الصريحة فى تفضيل العرب على غيرهم وقد بيّن - ﷺ - فيها أن هذا التفضيل يوجب المحبة لبنى هاشم ثم لقريش ثم للعرب وعن واثلة بن الأسقع قال : سمعت رسول الله - ﷺ - يقول : « **إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشًا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم** » رواه مسلم . فإن الله تعالى خص العرب ولسانهم بأحكام تميزوا بها ثم خص قريشًا على سائر العرب بما جعل فيهم من خلافة النبوة وغير ذلك من الخصائص ، ثم خص بنى هاشم بتحريم الصدقة ولهم قسط من الفىء إلى غير ذلك من الخصائص ، فأعطى الله سبحانه كل درجة من الفضل بحسبها والله عليم حكيم « يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس » وقد جعل النبى - ﷺ - بغض العرب سببًا لفراق الدين وجعل بغضهم مقتضيًا لبغضه ، وهذا التفضيل لا يقتصر على العرب فقط إن استقاموا بل يتعداهم إلى اللغة العربية ، فهى لغة القرآن ومعرفتها فرض واجب وذلك لأن فهم الكتاب فرض ولا يتم إلا بفهم العربية ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب وقد كتب عمر لأبى موسى الأشعرى : أما بعد ، فتفقهوا فى السنة وتفقهوا فى العربية وأعربوا القرآن فإنه عربى . ويقول : تعلموا العربية فإنها من دينكم وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم . وقد عود المسلمون أهل مصر وغيرها العربية وكانت لغة أهلها رومية . وينبغى

تلقين اللغة العربية للصغار حتى يظهر شعار الإسلام وأهله ويكون أسهل على أهل الإسلام فى فقه معانى الكتاب والسنة وقد كره أحمد - رحمه الله - أشد الكراهة تسمية الشهور بالفارسية وبأسماء لا تعرف - كما مر بنا - خشية كونه محرمًا فلا ينطق المسلم بما لا يعرف معناه وكراهة أن يتعود الرجل النطق بغير العربية وقد كره الفقهاء الأدعية التى فى الصلاة والذكر بغير العربية أما الخطاب بالفارسية ونحوها من اللغات من غير حاجة فى أسماء الناس والشهور والتواريخ ونحو ذلك فهو منهى مع الجهل بالمعنى بلا ريب وأما مع العلم به فكلام الإمام أحمد بيّن فى كراهته أيضًا فإنه كره أذرماه ومعناه ليس محرمًا وكره الدعاء فى الصلاة بالفارسية وقال : لسان سوء واستدل بنهى عمر عن الرطانة مطلقًا ، ومنع الشافعى من التكلم بغير العربية . بل كره العلماء أن يتكلم الرجل بالعربية خالطًا لها بالعجمية ، ولما سمع محمد بن سعد بن أبى وقاص قومًا يتكلمون بالفارسية فقال : ما بال الفارسية بعد الحنيفية وقال رسول الله - ﷺ - : **« من يحسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالعجمية فإنه يورث النفاق »** فينبغى لكل أحد يقدر على تعلم العربية أن يتعلمها لأنها اللسان الأولى بأن يكون مرغوبًا فيه من غير أن يحرم على أحد أن ينطق بالعجمية إذا دعت الحاجة أو الضرورة ، ومعلوم أن الواجبات تسقط بالعذر والعجز وبعدم الاستطاعة ، ولكن لابد من بذل الوسع فى الأخذ بالأسباب إذ اللغات من أعظم شعائر الأمم . فإذا كنا نطلب الرفعة والسيادة ونريد أن نرجع بهذه الأمة لكتاب ربها وسنة نبيها - ﷺ - حتى تحتل مكان الصدارة فعلينا أن نركز فى دعوتنا بصفة خاصة على العرب وعلى اللغة العربية - لغة القرآن - وأن نعود للعمل بالأشهر العربية وبالأحكام التى ارتبطت بها .

العمل بالأشهر العربية مسئوليتنا جميعًا

لابد وأن نخجل عندما نرى كل مبطل يعتز بباطله ، وينتصر له ويبذل فى سبيله الغالى والرخيص ، هذا فى الوقت الذى أصبح فيه كثير من المسلمين يستحيون من النطق باللغة العربية ولا يظهرون شعائر دينهم وسنن نبيهم -ﷺ- مجاراة للكفار ، ولهؤلاء نقول : « اتقوا الله حق التقوى ، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى ، واحذروا المعاصى فإن أجسامكم على النار لا تقوى ، واعلموا أنكم غدًا بين يدى الله موقوفون وعلى تفريطكم نادمون وبأعمالكم مجزيون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون : ﴿ **واتقوا يومًا ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون** ﴾ وتأملوا قوله تعالى : ﴿ **فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين** ﴾ فالعمل بالإسلام وللإسلام هو مسئوليتنا جميعًا حكامًا ومحكومين ، كبارًا وصغارًا ، رجالاً ونساءً ، كل فى موقعه سواء كان طالبًا فى مدرسة أو أستاذًا فى جامعة أو عاملاً فى مصنعه أو مربيًا لغيره .. وفيما نحن بصدده فعلى كل مسلم أن يتعرف على الأشهر العربية وأحكامها مما لا يسعه جهله وأن يستخدمها فى كلامه وكتابته ، والحذر كل الحذر من أن نسعى فى هدم الإسلام بأيدينا ففى الحديث : « **لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتى تليها فأولهن نقضًا الحكم وآخرهن الصلاة** » أخرجه الإمام أحمد فى المسند وابن حبان فى صحيحه والحاكم فى المستدرك عن أبى أمامة -رضى الله عنه- ، ويقول عمر -رضى الله عنه- : « يهدم الإسلام إذا نشأ فيه من لا يعرف الجاهلية » .

واجب الدعاة

مهمتهم عظيمة ومسئوليتهم كبيرة في إيصال الحق إلى الخلق وتبصير الناس بدين الله ورد الأمة ردًا جميلاً إلى شرع الله ففى الحديث : « **من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىء ، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده ، من غير أن ينقص من أوزارهم شىء** » رواه مسلم . وفى حديث أبى مسعود الأنصارى –رضى الله عنه– : « **من دل على خير فله مثل أجر فاعله** » رواه مسلم وعن أبى هريرة –رضى الله عنه– ، أن رسول الله –ﷺ– قال : « **من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا ومن دعا إلى ضلالة ، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا** » رواه مسلم . وما أكثر المواطن والمناسبات المشروعة التى يمكن للدعاة إلى الله أن يستثمروها فى خطبهم ودروسهم وكتبهم ورسائلهم ، موضحين ومبينين للناس ، هذه الأشهر وما ارتبط بها من وظائف وأحكام ، وكيف يبدأون يومهم وكيف يختمونه ، وكيف يفتتحون شهرهم وكيف يقضونه بخير وإحسان وعمل صالح يقربهم من رضوان ربهم : ﴿ **يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾ وفى هذا بإذن الله غنية وكفاية عن الابتداع والاختراع ومجاراة الأوضاع فى المواسم المستحدثة كالاحتفال بمولد النبى –ﷺ– وليلة السابع والعشرين من رجب .. فالبدع يجب ردها

لا موافقة أهلها بحيث نحق الحق ، ونبطل الباطل ، لا كما يصنعه بعض دعاة اليوم ، وقد وردت النصوص الكثيرة تحث على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وتحذر من الابتداع فى دين الله ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **فماذا بعد الحق إلا الضلال** ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم** ﴾ وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله - ﷺ - : « **من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد** » متفق عليه . وفى رواية لمسلم : « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » وكان - ﷺ - يقول : **أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدى هدى محمد** - ﷺ - ، **وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة** » الحديث رواه مسلم ، وليس من السنة أن نحدث عيدًا لدخول العام الهجرى الجديد أو نعتاد التهانى ببلوغه وكذلك إنشاء السرادقات والإتيان بالمقرئين وتوزيع الحلوى احتفالاً بمولد النبى - ﷺ - أو ليلة النصف من شعبان أو ليلة السابع والعشرين من رجب .. كل ذلك من البدع المذمومة التى باعدت الأمة أكثر عن دينها ، ومن المعلوم أن المحبة الحقيقية تكمن فى اتباع هدى رسول الله - ﷺ - ، وبالتالى فالدعاة إذا تواجدوا فى مثل هذه الاحتفالات فعلى سبيل انكار المنكر وذم البدعة ، لا مباركتها والموافقة عليها إذ هذا من جملة التدليس والغاية لا تبرر الوسيلة ، فإذا لم تزل المنكر فزل .

القشـر واللبـاب

هل حديثنا هذا ، ومطالبتنا للرجوع إلى العمل بالأشهر العربية ومعرفة الأحكام بها يُعد من جملة الخوض فى القشور والفرعيات وكان من الواجب أن نشغل أنفسنا بغيرها ، فى وقت تكالب فيه الأعداء على الأمة ووسد الأمر لغير أهله وضاعت فيه معالم الشريعة ؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول : لا تعارض أبدًا بين الدعوة للمعانى المذكورة والعمل من أجلها وبين ما جاء فى هذه الرسالة ، بل الأمور متلازمة ، والجمع بين المصالح مطلب شرعى ، وإذا كان تقديم الأهم على المهم أمر واجب فى العلم والعمل والدعوة إلى الله ، فالواجب علينا أن نعيش حياة البصيرة وشمول النظرة ، وتقديمنا لأمر وتأخيرنا لآخر ليس معناه بحال أن نحتقر طاعة من الطاعات حتى وإن كانت مستحبة فما بالنا إذا كانت واجبة والإخلال بها يترتب عليه تفريط عظيم فى كثير من الأحكام، ونحن بحمد الله لا نتبرم أبداً بإيضاح سنة مهملة لعلمنا أن التهاون فى المستحبات يجر إلى التهاون فى الواجبات وأن التهاون فى الواجبات قد يجر إلى الكفر والعياذ بالله ، كما أن المعانى العظيمة كالدين والعبادة والولاية والطاعة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تشمل فعل الواجب والمستحب وترك المكروه والحرام ، ولا يخفى على أحد أن النصر الذى ينشده الجميع لا يتحقق بالتهاون فى الطاعات والقربات ، ووصف البعض المطالبة بالعودة إلى الأشهر العربية ومعرفة ما جاء فيها من أحكام بأنها من القشور والفرعيات هو نوع من التهاون الخطير والجهل المطبق ، **فالقشرة – لو كان الأمر كذلك – لابد منها لحفظ الثمرة – ولا تحيا ثمرة بدون**

فشرتها ، وكما قالوا لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار ، ولا تنظر إلى صغر المعصية ولكن انظر إلى عظمة من عصيت . ولكى تستبين خطورة هذه القضية ننتقل من الإجمال إلى التفصيل وهذا أوان الشروع والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

الأشهر الحرم

قال قتادة : « إن الله اصطفى صفايا من خلقه اصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس رسلاً واصطفى من الكلام ذكره ، واصطفى من الأرض المساجد واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم واصطفى من الأيام يوم الجمعة واصطفى من الليالى ليلة القدر فعظموا ما عظم الله . فإن تعظيم الأمور بما عظمها الله به عند أهل الفهم وأهل العقل » ا.هـ

قال تعالى : ﴿ **إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم** ﴾ [التوبة : ٣٦] والأشهر الحرم أربعة وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ثلاثة متوالية وشهر رجب الفرد بين جمادى وشعبان ، وقوله تعالى : ﴿ **ذلك الدين القيم** ﴾ أى الحساب الصحيح والعدد المستوفى وقيل أى ذلك القضاء وهو مروى عن ابن عباس أو هو الشرع والطاعة ، وهذه الأشهر عظمها الله تعالى فلا تظلموا فيهن أنفسكم بارتكاب الذنوب لأن الله سبحانه إذا عظم شيئًا من جهة واحدة صارت له حرمة واحدة ، وإذا عظمه من جهتين أو جهات صارت حرمته متعددة فيضاعف فيه العقاب بالعمل السيء كما يضاعف

الثواب بالعمل الصالح . فإن من أطاع الله فى الشهر الحرام فى البلد الحرام ليس ثوابه ثواب من أطاعه فى الشهر الحلال فى البلد الحرام ، ومن أطاعه فى الشهر الحلال فى البلد الحرام ليس ثوابه ثواب من أطاعه فى شهر حلال فى بلد حلال فالحسنات تضاعف فى كل زمان ومكان فاضل والسيئات تعظم فى كل زمان ومكان فاضل وشاهد هذا فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله - ﷺ - ، يقول الله تعالى : ﴿ **يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير** ﴾ وقال تعالى فى المسجد الحرام : ﴿ **ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم** ﴾ وقد قيل فلا تظلموا فيهن أنفسكم أى بالقتال ثم نسخ بإباحة القتال فى جميع الشهور قاله قتادة وعطاء الخراسانى والزهرى وسفيان الثورى ، وقال ابن جريج : حلف بالله عطاء بن أبى رباح أنه ما يحل للناس أن يغزوا فى الحرم ولا فى الأشهر الحرم إلا أن يقاتلوا فيها ، وما نسخت والصحيح الأول كما قال القرطبى ، لأن النبى - ﷺ - غزا هوازن بحنين وثقيفًا بالطائف وحاصرهم فى شوال وبعض ذى القعدة ، وقد ذكر الإمام ابن كثير فى تفسيره أن الأشهر فى تحريم ابتداء القتال فى الشهر الحرام أنه منسوخ ، وعن ابن عباس فى قوله : « فلا تظلموا فيهن أنفسكم » قال فى الشهور كلها ، وقال على ابن أبى طلحة عن ابن عباس قوله : « إن عدة الشهور عند الله » الآية فلا تظلموا فيهن أنفسكم فى كلهن ، ثم اختص من ذلك أربعة أشهر فجعلهن حرامًا وعظم حرماتهن وجعل الذنب فيهن أعظم والعمل الصالح والأجر أعظم ، فالشهر الحرام تغلظ فيه الآثام ولهذا تغلظ فيه الدية فى مذهب الشافعي وطائفة كثيرة من العلماء - ولا يقال : كيف جُعل بعض الأزمنة أعظم حرمة من بعض ، فإن للبارى تعالى أن يفعل ما يشاء ويخص بالفضيلة ما يشاء ، ليس لعمله علة ولا عليه حجر ، بل يفعل ما يريد

بحكمته وقد تظهر الحكمة فيه وقد تخفى ، وليس لنا إلا أن نقول سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ، وأن نعظم شعائر الله وحرماته : ﴿ **ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب** ﴾ فالتزموا حدود الله تعالى وأقيموا فرائضه سبحانه واجتنبوا محارمه وأدوا الحقوق فيما بينكم وبين ربكم وفيما بينكم وبين عباده واعلموا أن الشيطان قد قعد لابن آدم كل مرصد وأقسم لله ليأتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا يجد أكثرهم شاكرين بل قال : ﴿ **فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾ فاحذروه على أنفسكم وبادروا بالعمل قبل حلول الأجل ولا داعى للتسويف والغرور وطول الأمل : ﴿ **وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم ، إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون** ﴾ .

شهر الله المحرم

عن الحسن قال : إن الله افتتح السنة بشهر حرام وختمها بشهر حرام فليس شهر فى السنة بعد شهر رمضان أعظم عند الله من المحرم وكان يسمى شهر الله الأصم من شدة تحريمه . وقد اختلف العلماء فى أى الأشهر الحرم أفضل ، فقال الحسن وغيره أفضلها شهر الله المحرم ورجحه طائفة من المتأخرين ، وعن أبى هريرة –رضى الله عنه– قال : « **سئل رسول الله** – ﷺ – : **أى الصلاة أفضل بعد المكتوبة ؟ قال : الصلاة فى جوف الليل قيل : ثم أى الصيام أفضل بعد رمضان ؟ قال شهر الله الذى تدعونه المحرم** » رواه أحمد ومسلم وأبو داود – وقد سمى النبى – ﷺ – المحرم شهر الله واضافته إلى الله تدل على شرفه وفضله فإن الله تعالى لا يضيف إليه إلا خواص مخلوقاته كما نسب محمدًا وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وغيرهم من الأنبياء إلى عبوديته، ونسب إليه بيته وناقته، ولما كان هذا الشهر مختصًا بإضافته إلى الله تعالى ، وكان الصيام من بين الأعمال مضافًا إلى الله تعالى فإنه له من بين الأعمال ، ناسب أن يختص هذا الشهر المضاف إلى الله بالعمل المضاف إليه المختص به وهو الصيام وقيل فى معنى إضافة هذا الشهر إلى الله عز وجل أنه إشارة إلى أن تحريمه إلى الله عز وجل ليس لأحد تبديله كما كانت الجاهلية يحلونه ويحرمون مكانه صفرًا فأشار إلى أنه شهر الله الذى حرمه فليس لأحد من خلقه تبديل ذلك وتغييره ، ولما كانت الأشهر الحرم أفضل الأشهر بعد رمضان أو مطلقًا وكان صيامها كلها مندوبًا إليه كما أمر به النبى – ﷺ – وكان بعضها ختام السنة الهلالية وبعضها مفتاحًا لها فمن صام شهر ذى الحجة

سوى الأيام المحرم صيامها منه وصام المحرم فقد ختم السنة بالطاعة وافتتحها بالطاعة فيرجى أن تكتب له سنته كلها طاعة فإن من كان أول عمله طاعة وآخره طاعة فهو فى حكم من استغرق بالطاعة ما بين العملين ، وأفضل شهر الله المحرم عشرة الأول ، وقال أبو عثمان النهدى كانوا يعظمون ثلاث عشرات ، العشر الأخير من رمضان والعشر الأول من ذى الحجة ، والعشر الأول من المحرم ، وقد قيل أنه العشر الذى أتم الله به ميقات موسى عليه السلام أربعين ليلة وأن التكلم وقع فى عاشره ، وقد دل الحديث على أن أفضل ما تطوع به من الصيام بعد رمضان صوم شهر الله المحرم وقد يحتمل أن يراد أنه أفضل شهر تطوع بصيامه كاملاً بعد رمضان فأما بعض التطوع ببعض شهر فقد يكون أفضل من بعض أيامه كصيام يوم عرفة أو عشر ذى الحجة أو ستة أيام من شوال و نحو ذلك.

« عن رجل من باهلة : أنه أتى النبى – ﷺ – فقال : يا رسول الله : أنا الرجل الذى جئتك عام الأول ، فقال : فما غيرك وقد كنت حسن الهيئة ؟ قال : ما أكلت طعامًا إلا بليل منذ فارقتك . فقال رسول الله – ﷺ – : لما عذبت نفسك ؟ ثم قال : صم شهر الصبر ، ويومًا من كل شهر . قال : زدنى ، فإن بى قوة ، قال : صم يومين . قال : زدنى . قال : صم من الحرم واترك صم من الحرم واترك . صم من الحرم واترك . وقال بأصابعه الثلاثة ، فضمها ، ثم أرسلها » رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة والبيهقى بسند جيد . وأفضل صيام الأشهر الحرم صيام شهر الله المحرم لما رواه جندب بن سفيان –رضى الله عنه– قال : قال رسول الله – ﷺ – : **« أفضل الصيام بعد رمضان الشهر الذى تدعونه المحرم »** رواه النسائى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع الصغير .

عاشـــوراء

عن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال : قدم النبى -ﷺ- المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا يوم صالح ، هذا يوم نجى الله بنى إسرائيل من عدوهم فصامه موسى ، قال : فأنا أحق بموسى منكم » فصامه وأمر بصيامه متفق عليه . وعن سلمة بن الأكوع -رضى الله عنه- أن النبى -ﷺ- بعث رجلاً ينادى فى الناس يوم عاشوراء أن من أكل فليتم أو فليصم ومن لم يأكل فلا يأكل » متفق عليه ، وعن الربيع بنت معوذ قالت : أرسل النبى -ﷺ- غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار » من أصبح مفطرًا فليتم بقية يومه ومن أصبح صائمًا فليصم » قالت : فكنا نصومه بعد ونصوم صبياننا ، ونجعل لهم اللعبة من العهن (الصوف المصبوغ) فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذاك حتى يكون عند الإفطار » متفق عليه .

عن عائشة -رضى الله عنها- : أن قريشًا كانت تصوم يوم عاشوراء فى الجاهلية ثم أمر رسول الله -ﷺ- بصيامه حتى فرض رمضان وقال رسول الله -ﷺ- : « من شاء فليصمه ومن شاء أفطر » متفق عليه .

عن نافع أن عبدالله ابن عمر رضى الله عنهما حدثه أنه سمع رسول الله -ﷺ- يقول فى يوم عاشوراء : « إن هذا اليوم كان يصومه أهل الجاهلية فمن أحب أن يصومه فليصمه ومن أحب أن يتركه فليتركه » ، وكان عبدالله -رضى الله عنه- لا يصومه إلا أن يوافق صيامه رواه مسلم . عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « حين صام رسول الله -ﷺ- يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا : يا رسول الله

إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال رسول الله - ﷺ - : « فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا التاسع » قال : فلم يأت العام المقبل حتى توفى رسول الله - ﷺ - رواه مسلم . وفى مسند الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى - ﷺ - قال : « **صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود صوموا قبله يومًا وبعده يومًا** » وجاء فى رواية أو بعده فأما أن تكون أو للتخيير أو يكون شكًا من الراوى هل قال قبله أو بعده ، وروى هذا الحديث بلفظ آخر وهو لئن بقيت لآمرن بصيام يوم قبله ويوم بعده » يعنى عاشوراء . أخرجه الحافظ أبو موسى المدينى . وروى عن أبى إسحاق أنه صام يوم عاشوراء ويومًا قبله ويومًا بعده وقال إنما فعلت ذلك خشية أن يفوتنى ، وروى عن ابن سيرين أنه **كان يصوم ثلاثة أيام عند الاختلاف فى هلال الشهر احتياطا** . ومن رأى صيام التاسع والعاشر الشافعى وأحمد وإسحاق وكره أبو حنيفة إفراد العاشر وحده بالصوم، وكل ماروى فى فضل الاكتحال فى يوم عاشوراء والاختضاب والاغتسال فيه فموضوع لا يصح ، وأما التوسعة فيه على العيال، فقال حرب سألت أحمد عن الحديث الذى جاء من وسع على أهله يوم عاشوراء أوسع الله عليه سائر السنة ، فلم يره شيئًا لعدم صحة إسناده - وأما اتخاذه مأتمًا كما تفعله الشيعة الروافض لأجل قتل الحسين ابن على رضى الله عنهما فيه فهو من عمل من ضل سعيه فى الحياة الدنيا وهو يحسب أنه يحسن صنعًا ، وهو شبيه بفعل عُبّاد الصليب ، الذين يعتقدون أن المسيح قد صلب عليه بزعمهم ﴿ **وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبه لهم** ﴾ ولم يأمر الله ولا رسوله باتخاذ أيام مصائب الأنبياء وموتهم مأتمًا فكيف بمن دونهم ، ويوم عاشوراء هو يوم تاب الله فيه على قوم ويتوب فيه على آخرين فاغتنموا فرصته رحمكم الله .

صـــفر

سمى بذلك كما قال السخاوى ، لخلو بيوتهم منهم حين يخرجون للقتال والأسفار يقال صفر المكان إذا خلا ، وفى الصحيحين عن أبى هريرة –رضى الله عنه– عن النبى –ﷺ– أنه قال : « **لا عدوى ولا هامة ولا صفر فقال أعرابى يا رسول الله فما بال الإبل تكون فى الرمل كأنها الظباء فيخالطها البعير الأجرب فيجربها فقال رسول الله –ﷺ– فمن أعدى الأول** » . أما العدوى فمعناها أن المرض يتعدى من صاحبه إلى من يقارنه من الأصحاء فيمرض بذلك وكانت العرب تعتقد ذلك فى أمراض كثيرة منها الجرب وقول النبى –ﷺ– : « **فمن أعدى الأول مراده أن الأول لم يجرب بالعدوى بل بقضاء الله وقدره فكذلك الثانى** فأما نهيه –ﷺ– عن إيراد الممرض على المصح وأمره بالفرار من المجذوم ونهيه عن الدخول إلى موضع الطاعون فإنه من باب اجتناب الأسباب التى خلقها الله تعالى وجعلها أسبابًا للهلاك أو الأذى، والعبد مأمور بإتقاء أسباب البلاء التى خلقها الله تعالى وجعلها أسبابًا للهلاك أو الأذى طالما أنه فى عافية ، والله تعالى هو خالق الأسباب ومسبباتها لا خالق غيره ولا رب مقدر سواه ، وفى معنى ولا صفر قال الحافظ ابن رجب : « وأما قوله –ﷺ– : ولا صفر فاختلف فى تفسيره ، فقال كثير من المتقدمين الصفر داء فى البطن يقال إنه دود فيه كبار كالحيات وكانوا يعتقدون أنه يعدى فنفى ذلك النبى –ﷺ– وممن قال هذا من العلماء ابن عيينة والإمام أحمد وغيرهما ولكن لو كان كذلك

لكان هذا داخلاً فى قوله لا عدوى ، وقد يقال هو من باب عطف الخاص على العام وخصه بالذكر لاشتهاره عندهم بالعدوى وقالت طائفة بل المراد بصفر شهر ثم اختلفوا فى تفسيره على قولين ، أحدهما أن المراد نفى ما كان أهل الجاهلية يفعلونه فى النسىء فكانوا يحلون المحرم ويحرمون صفر مكانه وهذا قول مالك والثانى أن المراد أن أهل الجاهلية كانوا يستيشمون بصفر ويقولون إنه شهر مشئوم فأبطل النبى - ﷺ - ذلك ، وهذا حكاه أبو داود عن محمد بن راشد المكحولى عمن سمعه يقول ذلك ولعل هذا القول أشبه الأقوال وكثير من الجهال يتشاءم بصفر وربما ينهى عن السفر فيه وكذلك التشاؤم بالأيام كيوم الأربعاء .. إلى أن قال رحمه الله وأما تخصيص الشؤم بزمان دون زمان كشهر صفر أو غيره فغير صحيح وإنما الزمان كله خلق الله تعالى وفيه تقع أفعال بنى آدم فكل زمان شغله المؤمن بطاعة الله فهو زمان مبارك عليه وكل زمان شغله العبد بمعصية الله فهو مشئوم عليه فالشؤم فى الحقيقة هو معصية الله تعالى ا.هـ

ربيع الأول

وُلد النبى - ﷺ - يوم الاثنين من هذا الشهر ، فعن أبى قتادة الأنصارى أن النبى - ﷺ - سئل عن صيام يوم الاثنين فقال : « **ذاك يوم ولدت فيه وأنزلت علىَّ فيه النبوة** » أما ولادة النبى - ﷺ - يوم الاثنين فكالمجمع عليه بين العلماء وقد قاله ابن عباس وغيره ، وأما شهر ولادته - ﷺ - فقد اختلف فيه فقيل فى شهر رمضان وقيل فى رجب وكلاهما لا يصح **فالمشهور بين الناس أنه ولد - ﷺ - فى شهر ربيع الأول** حتى نقل ابن الجوزى وغيره عليه الاتفاق ولكنه قول جمهور العلماء . وقد ولد - ﷺ - عام الفيل وكانت قصة الفيل توطئة لنبوته وتقدمة لظهوره وبعثته ، قال إبراهيم بن المنذر الحزامى : « الذى لا يشك فيه أحد من علمائنا أنه - ﷺ - ولد عام الفيل » ، وقال خليفة بن خياط : هذا هو المجمع عليه . وفى المسند عن ابن عباس قال : « ولد النبى - ﷺ - يوم الاثنين واستنبىء يوم الاثنين وخرج مهاجرًا من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وتوفى يوم الاثنين ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين . قال ابن رجب : « وذكر ابن إسحاق ، أن النبوة نزلت يوم الجمعة وحديث أبى قتادة يرد هذا واختلفوا فى أى شهر كان ابتداء النبوة فقيل فى رمضان وقيل فى رجب ولا يصح وقيل فى ربيع الأول وقيل إنه نبىء يوم الاثنين لثمان من ربيع الأول ، وأما الإسراء فقيل كان فى رجب وضعفه غير واحد وقيل كان فى ربيع الأول وهو قول إبراهيم الحربى وغيره ، وأما دخول المدينة **ووفاته فكانا فى ربيع الأول**

بغير خلاف مع اختلاف فى تعيين ذلك اليوم من أيام الشهر ا.هـ وما يفعله المسلمون فى الليلة الثانية عشرة من هذا الشهر من احتفالات وإقامة للسرادقات لتلاوة القرآن والإنشاد والمديح فليس له أساس من التاريخ والشرع ، لأنه لم يثبت أن ولادة النبى - ﷺ - كانت تلك الليلة وقد اختلفت الأقوال فى ذلك فزعم البعض أن ولادته فى اليوم الثانى من الشهر وبعضهم فى الثامن وبعضهم فى التاسع وبعضهم فى العاشر وبعضهم فى الثانى عشر (وهذا قول جمهورهم) وبعضهم فى السابع عشر وبعضهم فى الثانى والعشرين إلا أن بعض المعاصرين حقق أنه كان فى اليوم التاسع والله أعلم . يقول ابن تيمية فى كتابه « اقتضاء الصراط المستقيم » : « **ما يحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى فى ميلاد عيسى وإما محبة للنبى - ﷺ - وتعظيمًا له من اتخاذ مولد النبى - ﷺ - عيدًا مع اختلاف الناس فى مولده فإن هذا لم يفعله السلف مع قيام المقتضى له وعدم المانع ولو كان خيرًا محضًا أو راجحًا كان السلف أحق به منا فإنهم كانوا أشد محبة للنبى - ﷺ - وتعظيمًا له منا وهم على الخير أحرص وإنما كانت محبته وتعظيمه فى متابعته وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته ظاهرًا وباطنًا ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان ، وأكثر هؤلاء الذين تجدهم حرصاء على هذه البدع تجدهم فاترين فى أمر الرسول - ﷺ - مما أمروا بالنشاط فيه وإنما هم بمنزلة من يحلى المصحف ولا يقرأ فيه أو يقرأ فيه ولا يتبعه** » ا.هـ وقد انقضت قرون الخيرية الثلاثة دون الاحتفال بيوم مولده - ﷺ - على مثل هذا النحو ولو كان خيرًا لسبقونا إليه . فالواجب على المسلمين كأفراد ودول وجماعات أن يعودوا لكتاب ربهم وسنة نبيهم - ﷺ - علمًا وعملاً وتحكيمًا وفيما شرعه الله تعالى من تعظيم رسوله - ﷺ - ووسائل محبته

ما يغنى عن كل وسيلة تبتدع وتخترع قال تعالى : ﴿ **وأن هذا صراطى مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** ﴾ .

ربيع الثانى وجمادى الأولى والثانية

الربيع عند العرب ربيعان ، ربيع شهور وربيع زمان ، وربيع الشهور اثنان ، شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر ، وجمادى سمى بذلك لجمود الماء فيه ، ولعلهم سموه بذلك أول ما سمى عند جمود الماء فى البرد وإلا فهذه الأشهر منوطة بالأهلة فلابد من دورانها . وإذا كانت الأنفاس تُعد والرحال تُشد والعارية تُرد والتراب من بعد ذلك ينتظر الخد وعلى أثر من سلف يمشى من خلف وما عقبى الباقى غير اللحاق بالماضى وما ثمَّ إلا أمل مكذوب وأجل مكتوب ، فعيب أن تمضى أيام المسكين ولياليه وهو يرتع كالحيوان فى ملذاته وشهواته غير عابىء بحلال أو حرام ودون تمييز بين طيب وخبيث فيسىء إلى نفسه ويبخسها حقها إذ يضيع طاقتها على العمل النافع وعلى الطاعة الواجبة فى اللهو واللعب . بل كيف تضيع الأوقات والأعمار فى التليفزيون والفيديو والمذياع والسينما أو فى الورق والغيبه والنميمة والكرة بل وقد تضيع أوقات الآخرين فيما يضر ولا ينفع فيما يفسد ولا يصلح وأنت تمر بهذه الآيات البينات ﴿ **إن فى إختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والأرض لآيات لقوم يتقون** ﴾

وقال سبحانه : ﴿ **يغشى الليل النهار يطلبه حثيثًا** ﴾ وقال : ﴿ **وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا** ﴾ فانتبه لنفسك واستمع لقول ربك ﴿ **ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا** ﴾ .

إذا شغَّل الضُّياعُ آلات لهوهم ... وطاب لهم عند الملاهى محفلُ
وسُروا بما فيه هلاك نفوسهم ... ودينهم والأهل والمال أولُ
فقم وتوضأ واقصد الماجد الذى ... إذا ما مضى الثلثانى لليل ينزلُ
يقول ألا من سائل يعط سؤله ... ومستغفر يغفر له ما يؤمل
ومن مذنب مما جنى جاء تائبًا ... إلى غافر للذنب للتوب يقبل
وكرر سؤالاً والدعا بتضرع ... لعلك تحظى بالفلاح فتقبل
وقل عبدك المسكين قد جاء تائبًا ... ويرجوك توفيقًا وللعفو يأمل
فجُد وتجاوزْ يا جواد لمن أتى ... وليس له إلا رجاؤك مؤئل

فى وصية الإمام الموفق بن قدامة : « فاغتنم رحمك الله حياتك النفيسة واحتفظ بأوقاتك العزيزة ، واعلم أن مدة حياتك محدودة وأنفاسك معدودة فكل نفس ينقص به جزء منك . والعمر كله قصير والباقى منه هو اليسير ، وكل جزء منه جوهرة نفيسة لا عدل لها ولا خلف منها فإن بهذه الحياة اليسيرة خلود الأبد فى النعيم أو العذاب الأليم ، وإذا عادلت هذه الحياة بخلود الأبد علمت أن كل نفس يعادل أكثر من ألف ألف عام فى نعيم لا خطر له أو خلاف ذلك ، وما كان هكذا فلا قيمة له فلا تضيع جواهر عمرك النفيسة بغير طاعة أو قربة تقرب بها ، فإنك لو كان معك جوهرة من جواهر الدنيا لساءك ذهابها فكيف تفرط فى ساعاتك وكيف لا تحزن على عمرك الذاهب بغير

عوض ا.هـ وعن عمر بن ذر أنه كان يقول : اعملوا لأنفسكم رحمكم الله فى هذا الليل وسواده فإن المغبون من غبن خير الليل والنهار والمحروم من حرم خيرهما ، إنما جعلا سبيلاً للمؤمنين إلى طاعة ربهم ، ووبالاً للآخرين للغفلة عن أنفسهم فأحيوا لله أنفسكم بذكره فإنما تحيا القلوب بذكر الله عز وجل ، كم من قائم لله جل وعلا فى هذا الليل قد اغتبط بقيامه فى ظلمة حفرته وكم من نائم فى هذا الليل قد ندم على طول نومته عندما يرى من كرامة الله للعابدين غدًا فاغتنموا ممر الساعات والليالى والأيام رحمكم الله وراقبوا الله جل وعلا فى كل لحظة وداوموا شكره ا.هـ فينبغى للعاقل اللبيب أن لا يضيع أيام صحته وفراغ وقته بالتقصير فى طاعة الله ، وأن لا يثق بسالف عمل ، ويجعل الاجتهاد غنيمة صحته ، ويجعل العمل فرصة فراغه فليس الزمان كله مستعدًا ولا ما فات مستدركًا وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى - ﷺ - قال : « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ » رواه البخارى وغيره ، واعلموا عباد الله أن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة والقصد القصد تبلغوا .

شهر رجب

رجب هو أحد الأشهر الحرم وهو من الترجيب وهو التعظيم ، وقيل له رجب مضر لأن ربيعة بن نزار كانوا يحرمون شهر رمضان ويسمونه رجبًا وكانت مضر تحرم رجبًا نفسه ، فلذلك قال النبى - ﷺ - فيه : « **الذى بين جمادى وشعبان** » ورفع ما وقع فى اسمه من الاختلال بالبيان وكانت العرب أيضًا تسميه منصل الأسنة وذلك لأنهم

كانوا إذا دخل رجب نزعوا أسنة الرماح ونصال السهام إبطالاً للقتال فيه ، وقطعًا لأسباب الفتن لحرمته . روى البخارى عن أبى رجاء العطاردى قال : كنا نعبد الحجر ، فإذا وجدنا حجرًا هو خير منه ألقيناه وأخذنا الآخر ، فإذا لم نجد حجرًا جمعنا حثوة من تراب ثم جئنا بالشاء فحلبنا عليه ثم طفنا به ، فإذا دخل شهر رجب قلنا مُنصِل الأسنّة ، فلم ندع رمحًا فيه حديدة ولا سهمًا فيه حديدة إلا نزعناها فألقيناه » .

وصيام رجب ، ليس له فضل زائد على غيره من الشهور ، إلا أنه من الأشهر الحرم ، ولم يرد فى السنة الصحيحة ، أن للصيام فيه فضيلة بخصوصه ، وأن ما جاء فى ذلك مما لا ينتهض للإحتجاج به . فأحاديثه كلها ضعيفة ، بل موضوعة ، وصح أن عمر بن الخطاب كان يضرب أيدى الناس ليضعوا أيديهم فى الطعام فى رجب . ويقول : لا تشبهوه برمضان - فمتى أفطر بعضًا لم يكره صوم البعض كما قال ابن تيمية . قال ابن حجر : « لم يرد فى فضله (أى شهر رجب بخصوصه) ، ولا فى صيامه ولا فى صيام شيء منه معين ، ولا فى قيام ليلة مخصوصة منه ، حديث صحيح يصلح للحجة » ا.هـ وقد اعتاد الناس في بلادنا الاحتفال بليلة السابع والعشرين من هذا الشهر ، على أنها ليلة الإسراء والمعراج وفى ذلك يقول الشيخ على محفوظ فى كتابه الإبداع فى مضار الابتداع : « ومنها (أى المواسم التى نسبها الناس للشرع وليست منه) ليلة المعراج التى شرف الله تعالى هذه الأمة بما شرع لهم فيها . وقد تفنن أهل هذا الزمان بما يأتونه فى هذه الليلة من المنكرات ، وأحدثوا فيها من أنواع البدع ضروبًا كثيرة كالاجتماع فى المساجد . وإيقاد الشموع والمصابيح فيها ، وعلى المنارات مع الإسراف فى ذلك واجتماعهم للذكر والقراءة وتلاوة قصة المعراج وكان ذلك حسنًا لو كان ذكرًا وقراءة وتعليم علم ،

لكنهم يلعبون فى دين الله فالذاكر على ما عرفت والقارىء على ما سمعت فيزيد فيه ما ليس منه وينقص منه ما هو فيه .

وما أحسن سير السلف فإنهم كانوا شديدى المداومة على ما كان عليه الرسول - ﷺ - لا يخرجون عن الثابت قيد شعرة ويعتقدون الخروج عنه ضلالة لاسيما عصر الصحابة ومن بعدهم من أهل القرون الثلاثة المشهود لهم بالخير رضى الله عنهم أجمعين » ا.هـ والذى عليه أئمة النقل : أن الإسراء كان مرة واحدة بمكة ، بعد البعثة ، قبل الهجرة بسنة ، وقيل : بسنة وشهرين ، ذكره ابن عبدالبر ، وقد أخطأ من قطع وجزم بأن ليلة السابع والعشرين من رجب هى ليلة الإسراء والمعراج ، ولسنا فى حاجة لهذه الاحتفالات وهذا الابتداع إذ لو كان خيرًا لسبقونا إليه ، وتذكُّر هذا الحدث الضخم وما فيه من آيات بينات ، لا يليق أن نقصره على يوم واحد ثم تنفّض السرادقات وتعود الأمة سيرتها الأولى انحرافًا وبعدًا عن منهج الله .

ومن جملة البدع التى اعتادتها النساء فى هذا الشهر ، خروجهن فى جماعات لزيارة المقابر فى أول خميس منه ، والمرأة يجوز لها زيارة المقابر فى أصح أقوال العلماء ، ولكن تخصيص يوم الخميس بالزيارة ظنًا أن له مزية على غيره يُعد بدعة فى دين الله ، فالزيارة مشروعة فى أى وقت ولابد فيها من التأدب بالآداب الشرعية وعدم الإكثار من الزيارة واستئذان الولى أو الزوج وعدم التبرج أو قول الهجر لما ورد فى الصحيحين عن انس : **أن رسول الله - ﷺ - مر بامرأة عند قبر تبكى على صبى لها ، فقال لها : اتقى الله ، واصبرى .. الحديث** » ووجه الاستدلال أن الرسول - ﷺ - رآها عند القبر فلم ينكر عليها ذلك ، وعن عبدالله ابن أبى

مليكة ، أن عائشة أقبلت ذات يوم من المقابر ، فقلت لها : أليس كان نهى رسول الله - ﷺ - عن زيارة القبور ؟ قالت : نعم . « كان نهى عن زيارة القبور ، ثم أمر بزيارتها » رواه الحاكم والبيهقى وصححه الذهبى . وهى تقصد حديث النبى - ﷺ - : « كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ، ألا فزوروها » والمنع والإذن دخل فيه الرجال والنساء معًا ، ثم هى رضى الله عنها لما سألت ماذا تقول إن هى وردت البقيع أجابها رسول الله - ﷺ - ولو كانت زيارة النساء ممنوعة لأنكر عليها . أما الرواية التى فيها : « **لعن الله زائرات القبور** » فضعيفة . والصحيح « **لعن الله زوارات القبور** » رواه أحمد وابن ماجة والترمذى وصححه . قال القرطبى : « اللعن المذكور فى الحديث إنما هو للمكثرات من الزيارة لما تقتضيه الصيغة من المبالغة ، ولعل السبب ما يفضى إليه ذلك من تضييع حق الزوج والتبرج ، وما ينشأ من الصياح ، ونحو ذلك ، وقد يقال : إذا أمِن جميع ذلك فلا مانع من الإذن لهن ، لأن تذكر الموت يحتاج إليه الرجال والنساء ا.هـ قال الشوكانى : « هذا الكلام هو الذى ينبغى اعتماده فى الجمع بين أحاديث الباب المتعارضة فى الظاهر » ا.هـ .

شهر شعبان

(من تشعب القبائل وتفرقها للغارة)

عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : قلت : يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان قال : « ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم » رواه النسائى والبيهقى

وحسنه الألبانى . والعبادة وقت الغفلة متأكدة وثوابها أعظم ، ولذلك ورد فى الحديث « عبادة فى الهرج كهجرة إلىّ » و « أفضل صلاة بعد المكتوبة قيام الليل » وكذلك شهر شعبان ، هو من أشهر الغفلة لمجيئه بين رجب ورمضان وكلاهما معلوم الحرمة ، هذا بالإضافة إلى أنه شهر تُرفع فيه الأعمال إلى رب العالمين ولذلك كان رسول الله - ﷺ - يكثر من صيامه ويقول : « **وأحب أن يرفع عملى وأنا صائم** » .

وعن عائشة رضى الله عنه قالت : « **كان رسول الله - ﷺ - يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وما رأيت رسول الله - ﷺ - استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان وما رأيته فى شهر أكثر صيامًا منه فى شعبان** » رواه البخارى ومسلم وأبو داود . وعنها قالت : **لم يكن النبى - ﷺ - يصوم أكثر من شعبان ، فإنه كان يصوم شعبان كله وكان يقول** : « **خذوا من العمل ما تستطيعون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا** » ، وكان أحب الصلاة إلى النبى - ﷺ - ما دووم عليه وإن قلت وكان إذا صلى صلاة داوم عليها » متفق عليه . ومعنى « **كان يصوم شعبان كله** » أى يصوم أكثره جمعًا بين الروايات ولأن اللغة لا تمنع إطلاق الكل على أكثرية الشيء ، وتخصيص صوم يوم النصف منه ظنًا أن له فضيلة على غيره ، مما لم يأت به دليل صحيح .

يقول الشيخ على محفوظ ص ٢٨٦ من كتاب الإبداع : « ومن البدع الفاشية فى الناس احتفال المسلمين فى المساجد بإحياء ليلة النصف من شعبان بالصلاة والدعاء عقب صلاة المغرب يقرءونه بأصوات مرتفعة بتلقين الإمام ، فإن إحياءها بذلك على الهيئة المعروفة لم يكن فى عهد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ولا فى عهد الصحابة رضوان الله

عليهم أجمعين .. إلى أن قال : وجملة القول إن كل الأحاديث الواردة فى ليلة النصف من شعبان دائر أمرها بين الوضع والضعف وعدم الصحة - فقد نقل أبو شامة الشافعى عن القاضى أبى بكر بن العربى أنه قال فى كتاب العارضة : « ليس فى ليلة النصف من شعبان حديث يساوى سماعه: وقال فى كتاب الأحكام : « ليس فى ليلة النصف من شعبان حديث يعول عليه لا فى فضلها ولا فى نسخ الآجال فيها فلا تلتفتوا إليه » هذه أقوال العلماء فى فضل ليلة النصف من شعبان .

وأما الصلاة المخصوصة التى يفعلها بعض الناس فى هذه الليلة فقد ذكر حديثها فى الإحياء وقوت القلوب ، ولكن قد صرح جماعة من الحفاظ بأنه موضوع . قال الحافظ بن الجزرى فى الحصن « وأما صلاة الرغائب أول خميس من رجب وصلاة ليلة النصف من شعبان وصلاة ليلة القدر من رمضان فلا تصح وسندها موضوع باطل » وقال الحافظ العراق : حديث صلاة ليلة النصف موضوع على رسول الله - ﷺ - وكذب عليه ، وقال الإمام النووى فى كتاب المجموع « الصلاة المعروفة بصلاة الرغائب وهى اثنتا عشرة ركعة بين المغرب والعشاء ليلة أول جمعة من رجب ، وصلاة ليلة النصف من شعبان مائة ركعة ، هاتان الصلاتان بدعتان منكرتان ، ولا يغتر بذكرهما فى كتاب قوت القلوب وإحياء علوم الدين ، ولا بالحديث المذكور فيهما ، فإن كل ذلك باطل ولا يغتر ببعض من اشتبه عليه حكمهما من الأئمة فصنف ورقات فى استحبابهما ، فإنه غالط فى ذلك ، وقد صنف الشيخ الإمام محمد عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسى كتابًا نفيسًا فى إبطالهما فأحسن فيه وأجاد ا.هـ . واعلم أن السنة سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك ، وفيها الكفاية بإذن الله

فيسعك أن تكثر من الصيام ومن صالح الأعمال فى هذا الشهر المبارك دون ابتداع أو اختراع ، وإذا كان بعض الناس لا يستعد لاستقبال شهر رمضان إلا بأصناف الطعام والشراب فى هذه الأيام ، فلا تغفل أنت فهى أيام تُرفع فيها الأعمال لرب العالمين ولك فى رسول الله أسوة حسنة .

عباد الله : الأيام تمر والصحائف تُطوى والأعمال تُرفع فمن الذى يوقظ النائم وينبه الوسنان وإلا فغدًا يكشف الغطاء ، ونسأل الله الستر .

الناس فى غفلاتهم ورحى المنية تطحن

شهر رمضان

هذا الشهر الكريم ، فرض الله علينا صيامه ورغبنا فى قيامه ، وهو شهر أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى ، وفيه يقول سبحانه : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أيامًا معدودات فمن كان منكم مريضًا ، أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرًا فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون . شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس ، وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه . ومن كان مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ، ولتكبروا الله على ما هداكم ، ولعلكم تشكرون** ﴾ [البقرة : ١٨٣ - ١٨٥] ، وهذا الشهر تُفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم وتصفد فيه مردة الشياطين

ولذلك كان النبى - ﷺ - يبشر أمته بمجيئه فعن أبى هريرة قال قال رسول الله - ﷺ - : « **إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ، ومردة الجن ، وغلقت أبواب النار ، فلم يفتح منها باب وينادى مناد : يا باغى الخير أقبل ، ويا باغى الشر أقصر ، ولله عتقاء من النار ، وذلك كل ليلة** » رواه الترمذى وابن ماجة ورواه أحمد ، وعن أبى هريرة قال قال رسول الله - ﷺ - : « **إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة (وفى رواية : أبواب السماء) وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين** » متفق عليه . وقد ورد فى فضله وفضل صيامه وقيامه أحاديث كثيرة ، منها ما رواه سهل بن سعد قال : قال رسول الله - ﷺ - : « **فى الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون** » رواه البخارى ومسلم والنسائى والترمذى وزاد : « **ومن دخله لم يظمأ أبدًا** » وسند هذه الرواية حسن ، وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « **من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه** » متفق عليه ، وعنه قال ، قال رسول الله - ﷺ - : « **كل عمل ابن آدم يضاعف له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف** » قال الله تعالى : ﴿ **إلا الصوم فإنه لى ، وأنا أجزى به ، يدع شهوته وطعامه من أجلى للصائم فرحتان ، فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، والصيام جنة** (أى : وقاية) **وإذا كان صوم أحدكم فلا يرفث** (يتكلم بقبح) **ولا يصخب** (يرفع صوته بهذيان) فإن سابه أحد أو قاتله ، فليقل : إنى صائم : متفق عليه ، وهذا الشهر هو شهر الصبر والشكر

والجهاد فى سبيل الله ، وهو شهر الانتصارات العظيمة فى تاريخ هذه الأمة ، كغزوة بدر وفتح مكة ، كما أنه شهر يكفر الله به الخطايا فعن أبى هريرة عن رسول الله - ﷺ - قال : « **الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفرات ما بينهن ، إذا اجتنبت الكبائر** » وهو يشفع لصاحبه فعن عبدالله بن عمرو : أن رسول الله - ﷺ - قال : « **الصيام والقرآن يشفعان للعبد ، يقول الصيام : أى رب ، إنى منعته الطعام والشهوات بالنهار ، فشفعنى فيه ، ويقول القران : منعته النوم بالليل فشفعنى فيه ، فيشفعان** » رواه أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبى ، وهذا الشهر ، هو شهر التربية والمراقبة فعلينا أن نعظم حرمات الله فيه ، فعن أبى هريرة قال : قال رسول الله - ﷺ - : « **من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه** » رواه البخارى ، وليس الصيام من الجوع والعطش فحسب وإنما الصيام أيضًا من اللغو الرفث ، فاحذر التليفزيون بما فيه من رقص وغناء وأفلام وتمثيليات ومسرحيات فليست هذه بتسالى وتعلّم ما يحل لك وما يحرم عليك حتى تكون على بصيرة من أمرك وأمر الناس فهو أيام معدودة ، يوشك أن ينتهى ، فاغتنم لحظاته بكل طاعة يحبها ربنا ويرضى عنها ، روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « **كان رسول الله - ﷺ - أجود الناس ، وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة** » وكان - ﷺ - **إذا دخل العشر الأواخر منه اجتهد فى العبادة** . روى البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها : « **أن النبى - ﷺ - كان إذا دخل العشر الأواخر أحيا الليل وأيقظ أهله ، وشد المئزر** » وفى

رواية لمسلم : **كان يجتهد فى العشر الأواخر مالا يجتهد فى غيره** » وذلك تلمسًا لليلة القدر ، والعبادة فى هذه الليلة خير من العبادة فى ألف شهر ليس فيه ليلة القدر ، وفى الحديث « **لله فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم**» رواه أحمد والنسائى وهو حديث جيد شواهده .. ويستحب طلبها فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان وأرجى الليالى الوترية ، ليلة السابع والعشرين من رمضان ، وروى أحمد وابن ماجة والترمذى - وصححه - عن **عائشة رضى الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله أرأيت إن علمت ، أى ليلة ليلة القدر ، ما أقول فيها ؟ قال : قولى : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى** » .

وعن على رضى الله عنه : أنه كان ينادى فى آخر ليلة من شهر رمضان ، يا ليت شعرى من هذا المقبول فنهنيه ، ومن هذا المجروم فنعزيه .

وعن ابن مسعود أنه كان يقول : من هذا المقبول منا فنهنيه ، ومن هذا المحروم منا فنعزيه ، وكان سلفنا الصالح يجتهدون فى اتمام العمل واكماله واتقانه ، ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله ، ويخافون من رده ، وكانوا يدعون ربهم ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ، ثم يدعونه ستة أشهر أخرى أن يتقبله منهم ، ولِمَ لا وهو شهر العتق من النيران ، ولهذا لما كانت المغفرة والعتق كل منهما مرتبًا على صيام رمضان وقيامه ، أمر الله تعالى عند إكمال العدة بتكبيره وشكره فقال سبحانه : ﴿ **وَلتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون** ﴾ فالحمد لله الذى هدانا فصمنا ، ويسر لنا فقمنا ، ونسأله سبحانه أن يقبضنا وهو راضٍ عنا ، وقد ذكرت معانٍ كثيرة تتعلق بهذا الشهر فى كتاب « دروس الزمان فى شهر الصيام » والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات .

شهر شوال

يبدأ هذا الشهر ، بيوم عيد الفطر ، فعن أنس –رضى الله عنه– قال : **قدم رسول الله** –ﷺ– **المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال : ما هذان اليومان ؟ قالوا : كنا نلعب فيهما فى الجاهلية ، فقال** –ﷺ– : « **أبدلكم الله بهما خيرًا منهما ، يوم الأضحى ويوم الفطر** » رواه أبو داود وهو حديث صحيح ، وعن أبى سعيد الخدرى –رضى الله عنه– قال : « **كان رسول الله** –ﷺ– **يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى ، لم يزل الناس على ذلك** » متفق عليه ، ويبدأ التكبير فى عيد الفطر من رؤية الهلال حتى يغدو الناس إلى المصلى وحتى يصعد الإمام على المنبر لقوله تعالى : ﴿ **ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون** ﴾ والأعياد من أعظم شعائر الدين ولذلك ود أهل الكتاب لو بذلوا الأموال العظيمة فى سبيل مشاركة المسلمين لهم فى أعيادهم ، وقد بين النبى –ﷺ– أن لكل قوم عيدًا وقال هذا عيدنا أهل الإسلام ، فلا يجوز تهنئة المشركين بأعيادهم ولا دخول كنائسهم فيها لأن السخطة تتنزل عليهم قال تعالى : ﴿ **والذين لا يشهدون الزور** ﴾ قال مجاهد وغيره : أى أعياد المشركين ولا يجوز بيعهم ما يستعينون به على إظهار أعيادهم ولا قبول هداياهم المتعلقة بشعائر دينهم الباطل .

وقد كان النبى –ﷺ– يتجمل للعيدين ويرتدى أحسن ما عنده ، ويتطيب ، ويخالف الطريق ويغدو إلى المصلى ، وهو الخلاء البعيد عن العمران ، والذى يتسع لجموع المسلمين ، وكل ذلك لإظهار

شعائر الدين فى هذا اليوم المبارك ، وعن جبير بن نفير قال : « **كان أصحاب** رسول الله - ﷺ - إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض : **تقبل الله منا ومنك** .

ومن السنة فى العيد ، إظهار السرور وتبادل الدعاء بالخير ، والتواصل والتراحم والتوسعة على الفقراء والتغاضى عن الهفوات فانظر رحمك الله ، كيف انتقلنا من طاعة إلى طاعة ، ومن عبادة إلى عبادة ، فرب رمضان هو رب شوال وهو رب سائر العام وفى هذا الشهر بنى النبى - ﷺ - بالسيدة عائشة رضى الله عنها وشوال أيضًا هو بداية أشهر الحج ﴿ **الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب** ﴾ روى الجماعة - إلا البخارى والنسائى - عن أبى أيوب الأنصارى : أن النبى - ﷺ - قال :

« **من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال فكأنما صام الدهر** » وهذا لمن صام رمضان كل سنة ، **قال بعض العلماء** : الحسنة بعشر أمثالها ورمضان بعشرة شهور ، والأيام الستة بشهرين ، ويحرم صيام يوم عيد الفطر ، ثم من كان عليه قضاء من شهر رمضان فليبدأ بقضائه فى شوال فإنه أسرع لبراءة ذمته وهو أولى من التطوع بصيام ستة من شوال ، ومن أخر القضاء فلا حرج عليه فإن السيدة عائشة رضى الله عنها كانت تقضى أيامًا من رمضان فى شعبان ، ومن بدأ بالقضاء فى شوال ثم أراد أن يتبع ذلك بصيام ستة من شوال بعد تكميله قضاء رمضان كان حسنًا لأنه يصير حينئذ قد صام رمضان وأتبعه بست من شوال ولا يحصل له فضل صيام ست من شوال بصوم قضاء رمضان لأن صيام الست من شوال إنما

تكون بعد إكمال عدة رمضان .

وقد ذكر ابن رجب فى معاودة الصيام بعد رمضان فوائد عديدة منها : أن صيام ستة أيام من شوال بعد رمضان يستكمل بها أجر صيام الدهر كله كما سبق ومنها أن صيام شوال وشعبان كصلاة السنن الرواتب قبل الصلاة المفروضة وبعدها فيكمل بذلك ما حصل فى الفرض من خلل ونقص فإن الفرائض تجبر أو تكمل بالنوافل يوم القيامة كما ورد ذلك عن النبى - ﷺ - من وجوه متعددة وأكثر الناس فى صيامه للفرض نقص وخلل فيحتاج إلى ما يجبره ويكمله من الأعمال .. إلى أن قال رحمه الله - ومنها أن معاودة الصيام بعد صيام رمضان علامة على قبول صوم رمضان فإن الله إذا تقبل عمل عبد وفقه لعمل صالح بعده كما قال بعضهم ثواب الحسنة الحسنة بعدها فمن عمل حسنة ثم أتبعها بعد بحسنة كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى كما أن من عمل حسنة ثم أتبعها بسيئة كان ذلك علامة رد الحسنة وعدم قبولها ومنها أن صيام رمضان يوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب كما سبق ذكره وأن الصائمين لرمضان يوفون أجورهم فى يوم الفطر وهو يوم الجوائز فيكون معاودة الصيام بعد الفطر شكرًا لهذه النعمة فلا نعمة أعظم من مغفرة الذنوب ... قال الحسن إن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت ثم قرأ : ﴿ **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾ هذه الشهور والأعوام والليالى والأيام كلها مقادير الآجال ومواقيت الأعمال ثم تنقضى سريعًا وتمضى جميعًا والذى أوجدها وابتدعها وخصها بالفضائل وأودعها باق لا يزول ودائم لا يحول هو فى جميع الأوقات إله واحد ولأعمال عباده رقيب مشاهد ، فسبحان من قلب عباده فى اختلاف الأوقات بين وظائف الخدم ، يسبغ عليهم فيها فواضل النعم، ويعاملهم بنهاية الجود والكرم، لما انقضت الأشهر الحرم

الثلاثة الكرام التى أولها الشهر الحرام وآخر شهر الصيام أقبلت الأشهر الثلاثة ، أشهر الحج إلى بيت الله الحرام فكما أن من صام رمضان وقامه غفر له ما تقدم من ذنبه فمن حج البيت ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه فما يمضى من عمر المؤمن ساعة من الساعات إلا ولله فيها عليه وظيفة من وظائف الطاعات فالمؤمن يتقلب بين هذه الوظائف ويتقرب بها إلى مولاه وهو راج خائف ، المحب لا يمل من التقرب بالنوافل إلى مولاه ولا يأمل إلا قربه ورضاه .ا.هـ .

شــهر ذى القعــدة

وقد سُمى هذا الشهر بهذا الاسم لقعودهم فيه عن القتال والترحال ، وهو من أشهر الحج والأشهر الحرم ، يقول الإمام ابن كثير - رحمه الله - « وإنما كانت الأشهر المحرمة أربعة ، ثلاثة سرد وواحد فرد ، لأجل أداء مناسك الحج والعمرة فحرم قبل أشهر الحج شهرًا وهو ذو القعدة لأنهم يقعدون فيه عن القتال ، وحرم شهر ذى الحجة لأنهم يوقعون فيه الحج ويشتغلون فيه بأداء المناسك وحرم بعده شهرًا آخر وهو المحرم ليرجعوا فيه إلى أقصى بلادهم آمنين ، وحرم رجب فى وسط الحول لأجل زيارة البيت والاعتمار به لمن يقدم إليه من أقصى جزيرة العرب فيزوره ثم يعود إلى وطنه فيه آمنا » ا.هـ **وقد ثبت أن رسول الله** - ﷺ - **حاصر أهل الطائف فى شهر ذى القعدة كما ثبت فى الصحيحين انه خرج إلى هوازن فى شوال** ، ولا تنافى بين حرمة هذه الأشهر وبين مشروعية القتال فيها ، وشهر ذى القعدة ، هو أول الأشهر الحرم المتوالية ، كما أنه أول الحرم مطلقًا على قول بعض العلماء - والطاعات متأكدة فى هذا

الشهر ومن جملتها الصيام كما مر بنا ، فالواجب تعظيم حرمات الله فيه ، ومن خصائصه كما ذكر ابن رجب - رحمه الله - أن عُمَرَ النبى - ﷺ - كلها كانت فى القعدة سوى عمرته التى قرنها بحجته مع أنه - ﷺ - أحرم بها أيضًا فى ذى القعدة وفعلها فى ذى الحجة مع حجته وكانت عُمَرُه - ﷺ - أربعًا ، عُمَرُة الحديبية ولم يتمها بل تحلل منها ورجع وعمرة القضاء من قابل وعمرة الجعرانة عام الفتح لما قسم غنائم حنين وقيل إنها كانت فى آخر شوال والمشهور أنها كانت فى ذى القعدة وعليه الجمهور ، وعمرته فى حجة الوداع كما دلت عليه النصوص الصحيحة وعليه جمهور العلماء أيضًا وقد روى عن طائفة من السلف منهم ابن عمر وعائشة وعطاء تفضيل عمرة ذى القعدة وشوال على رمضان لأن النبى - ﷺ - اعتمر فى ذى القعدة وفى أشهر الحج حيث يجب عليه الهدى إذا حج من عامه لأن الهدى زيادة نسك فيجتمع نسك العمرة مع نسك الهدى ، ولذى القعدة فضيلة أخرى وهى أنه قد قيل إنه الثلاثون يومًا الذى واعد الله فيه موسى عليه السلام ، قال ليث عن مجاهد فى قوله تعالى : ﴿ **وواعدنا موسى ثلاثين ليلة** ﴾ قال ذو القعدة ﴿ **وأتممناها بعشر** ﴾ قال عشر ذى الحجة ، وقد قيل إن تحريم ذى القعدة كان فى الجاهلية لأجل السير إلى الحج ، ولازال الناس حتى يومنا هذا يتوافدون على بيت الله الحرام لتأدية فريضة الحج ويكون سيرهم وخروجهم فى شهر ذى القعدة ، حيث تتوجه مجموعات كبيرة منهم لزيارة المدينة أولاً ثم يعودون منها إلى مكة المكرمة - حماها الله - لتأدية المناسك ، ولذلك يشتد الحنين وتهفو النفوس وتتطلع القلوب لزيارة بيت الله الحرام ، كلما اقتربت أيام هذا الشهر المبارك ، وهذا الحنين لن ينقطع من النفوس المؤمنة

﴿ ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ وكلما تحرك ركب وانطلقت قافلة ، رفع المؤمنون أكف الضراعة لربهم ، أن ييسر لهم الحج ، بل وشمروا عن ساعد الجد أخذًا بالأسباب ، ولِمَ لا فحاجة الإنسان إلى طاعة ربه أشد من حاجة السمك إلى الماء ، بل لا صلاح لنفسه ولا لقلبه إلا بالانتقال من طاعة إلى أخرى وأن يعيش حياة العبودية فى كل آن وحين **﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾** يحتاج لأن يهتف بلسان الحال والمقال ، لبيك اللهم لبيك ... لبيك بحجة حقا ، لبيك تعبدًا ورقا ، فالشوق إلى لقاء الله يشوقه إلى أسباب اللقاء ، والبيت مضاف إلى الله تعالى ، وقد لا يجد المؤمن بعد صلاته وصيامه ما يقضى به شوقه إلا فى الحج ، حيث يقفز من سجن ضيق إلى عالم فسيح ، يثور فيه على وثنية العادات والمألوفات ، يخرج وكله حب وقد تحرر من كل رق وثار على كل وثن وكفر باختلاف الجنس واللون والوطن وآمن بالله وحده ، وينتقل إلى بيت يزوره الناس من كل فج عميق وأوب سحيق شعثًا غبرًا متواضعين لرب البيت مستكينين له خضوعًا لجلاله ، ليكون ذلك أبلغ فى رقهم وعبوديتهم وأتم فى إذعانهم وانقيادهم ، ولذلك وظف عليهم فيها أعمالاً لا تأنس بها النفوس ولا تهتدى إلى معانيها العقول ، كرمى الجمار بالأحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية ، فلا باعث إلا الأمر المجرد ، وقصد الامتثال للأمر من حيث أنه أمر واجب الاتباع فقط ، ولذلك كان الحج من أبلغ أنواع التعبدات فى تزكية النفوس وبمثابة عرضة سنوية تضبط أعمال المسلمين وحياتهم ، وتجديد للصلة بإمام الملة الحنيفية والمحافظة على إرثه ، فى حياة مليئة بالزخارف ، يمر الإنسان بينها كالساعى وعمره

أشواطًا محدودة يقطعها إطاعة لربه ، لا يمنعه إيمانه عن البحث والسعى ، ولا يمنعه سعيه عن التوكل على الله والثقة به ، فكن طوع إشارة ورهين أمر واسأل الله من فضله فلن يهلك مع الدعاء أحد .

شـــهر ذى الحجـــة

هذا الشهر هو خاتمة المسك ، إذ أنه أحب الأشهر الحرم إلى الله تعالى وهو نهاية العام الهجرى ، والعشر الأول منه هى أفضل أيام العام ، فعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى - ﷺ - قال : « **ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام يعنى أيام العشر قالوا يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله ، قال ولا الجهاد فى سبيل الله إلا رجلاً خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشىء** » رواه البخارى ، وبذلك يكون أيام عشر ذى الحجة أفضل من أيام العشر من رمضان ، والليالى العشر الأواخر من رمضان أفضل من ليالى عشر ذى الحجة **قال ابن القيم** : « **ليس من أيام العمل فيها أحب إلى الله من أيام عشر ذى الحجة ، وفيها : يوم عرفة ، ويوم النحر ، ويوم التروية** » وأما ليالى عشر رمضان فهى ليالى الإحياء ، التى كان رسول الله - ﷺ - يحييها كلها ، وفيها ليلة خير من ألف شهر » ا.هـ واليوم العاشر من ذى الحجة وهو يوم النحر يُعد أفضل أيام العام ، وفى ذلك يقول ابن تيمية : « **الحمد لله ، أفضل أيام الأسبوع يوم الجمعة باتفاق العلماء ، وأفضل أيام العام هو يوم النحر** » وقد قال بعضهم يوم عرفة ، والأول هو الصحيح ، لأن فى السنن عن النبى - ﷺ - أنه قال : « **أفضل الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القر** » لأنه يوم الحج الأكبر فى مذهب

مالك والشافعى ، وأحمد كما ثبت فى الصحيح عن النبى - ﷺ - أنه قال : « **يوم النحر هو يوم الحج الأكبر** » وفيه من الأعمال مالا يعمل فى غيره : كالوقوف بمزدلفة ورمى جمرة العقبة وحدها ، والنحر ، والحلق ، وطواف الإفاضة ، فإن فعل هذه فيه أفضل بالسنة ، واتفاق العلماء ، والله أعلم ا.هـ وفى المسند وغيره : حديث عن النبى - ﷺ - أنه أمر بصوم الأشهر الحرم : وهى رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة والمحرم . ويحرم صوم يوم النحر كما يحرم صوم يوم الفطر ، وعن هنيدة بن خالد عن امرأته ، عن بعض أزواج النبى - ﷺ - قالت : « **كان رسول الله - ﷺ - يصوم تسع ذى الحجة ويوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر ، الاثنين من الشهر والخميس** » رواه أبو داود والنسائى وأحمد . وعن عائشة وابن عمر رضى الله عنهما : « **لم يرخص فى أيام التشريق أن يصمن إلا لمن لا يجد الهدى** » رواه البخارى . وقد ذكر البخارى فى صحيحه عن ابن عمر وأبى هريرة أنهما كانا يخرجان إلى السوق فى العشر فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما . وعن مجاهد قال كان أبو هريرة وابن عمر يأتيان السوق أيام العشر فيكبران ويكبر الناس معهما ولا يأتيان لشىء إلا لذلك . وفى الصحيحين عن عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - أن رجلاً من اليهود ، قال له يا أمير المؤمنين آية فى كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدًا فقال أى آية قال : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينًا** ﴾ فقال عمر إنى لأعلم اليوم الذى نزلت فيه والمكان الذى نزلت فيه ، نزلت ورسول الله - ﷺ - قائم بعرفة يوم جمعة ، ويسن صيام يوم عرفة لمن لم يقف بعرفة ، والحج عرفة كما قال رسول الله - ﷺ - ، إذ الوقوف بعرفة هو ركن الحج الأعظم ، ويوم عرفة هو يوم العتق من النار ، وفيه

يباهى الله ملائكته بعباده الذين آتوه شعثًا غبرًا ضاجين ، من كل أوب سحيق وفج عميق، ثم اليوم العاشر هو يوم النحر وهو يوم عيد الأضحى ويعتبر أعظم العيدين وهو محفوف بعيد قبله وهو يوم عرفة وبأعياد بعده وهى أيام التشريق الثلاثة ، كما فى حديث عقبة بن عامر عن النبى - ﷺ - قال : « **يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام وهى أيام أكل وشرب** » خرجه أهل السنن وصححه الترمذى ويوم العيد تذكرة بيوم المزيد فى الجنة ، ويبدأ التكبير فى عيد الأضحى من صبح يوم عرفة إلى عصر آخر أيام منى لقوله تعالى : « **واذكروا الله فى أيام معدودات** » قال البخارى : قال ابن عباس : « هى أيام التشريق » وهى اليوم الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر من ذى الحجة - ويستحب التكبير فى كل وقت من هذه الأيام سواء قبل الصلاة أو بعدها أو فى الطريق أو فى المجالس ، وكان عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- يكبر فى قبته بمنى فيسمعه الناس وترتج منى تكبيرًا ، وينبغى أن يعلم أن أعيادنا توقيفية ، أى أنها تؤخذ دون زيادة أو نقصان كما دل على ذلك دلائل الكتاب والسنة ، وعلينا أن نتعبد لله فيها بإظهارها وإبراز الفرحة والبهجة فيها ، ولا حرج من اللهو والتوسع فى المباحات فى أعيادنا الإسلامية أما الأعياد الوثنية والاحتفالات المخترعة والمبتدعة فلابد من إنكارها وردها ولا يصح استحداث شيء زائد فيها ، فما دخلت بدعة إلا وخرجت فى المقابل سنة ، والواجب على العباد أن يعظموا ما عظمه الله ورسوله فمن علم مزية يوم الأضحى وكيف أنه أشرف أيام العام وقد احتف به شرف الزمان والمكان ، وتذكر إخوانه فى مثل هذه الأيام المباركات وقد عقدوا الإحرام وقصدوا البيت الحرام وملئوا الفضاء بالتلبية والتكبير والتهليل والتمجيد والإعظام عَلِمَ عِلْمَ اليقين أن الدنيا أيام سفر

والزمان زمان إحرام ، وأن كل ما هو آت فهو قريب ، وأن عمره لا محالة على القرب سينتهى كما تنتهى هذه الأيام بل وهذا العام ﴿ **يقلب الله الليل والنهار إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار** ﴾ ، ألم تروا إلى هذه الشهور تهل فيها الأهلة صغيرة كما يولد الأطفال ثم تنمو رويدًا رويدًا كما تنمو الأجسام حتى إذا تكامل نموها أخذت بالنقص والإضمحلال وهكذا عمر الإنسان سواء فاعتبروا يا أولى الأبصار ، وما يحدث فى الشهور ، يحدث مثله فى الأعوام ، تتجدد عامًا بعد عام فإذا دخل العام الجديد نظر الإنسان إلى آخره نظر البعيد ثم تمر به الأيام سراعًا فينصرم العام كلمح البصر فإذا هو فى آخر العام وهكذا عمر الإنسان يتطلع إلى آخره تطلع البعيد فإذا به قد هجم عليه الموت ﴿ **وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد** ﴾ ربما يؤمل الإنسان بطول العمر ويتسلى بالأمانى فإذا بحبل الأمل قد انصرم وببناء الأمانى قد انهدم . فاغتنم شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك ، وبادروا بالصالحات وإلا فماذا تنتظرون ، هل تنتظرون إلا فقرًا منسيًا أو غنى مطغيًا أو مرضًا مفسدًا أو هرمًا مفندًا أو موتًا مجهزًا أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر .

فصـول السـنة الشمسـية

يقول الحافظ ابن رجب فى كتابه القيم لطائف المعارف (ص ٥) «فقد قال الله عز وجل : ﴿ **وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب** ﴾ وقال الله تعالى : ﴿ **هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورًا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب** ﴾ فأخبر سبحانه وتعالى أنه علق معرفة السنين والحساب على تقدير القمر منازل وقيل بل على جعل الشمس ضياء والقمر نورًا وجعل حساب السنة والشهر يعرف بالقمر واليوم والاسبوع يعرف بالشمس وبمعرفة ذلك يتم الحساب ، وقوله تعالى : ﴿ **ولتعلموا عدد السنين** ﴾ لما كان الشهر الهلالى لا يحتاج إلى عده إلا إذا غم آخره ، فيكمل عدده بالاتفاق إلا فى شهر شعبان إذا غم آخره بالنسبة إلى صوم رمضان خاصة فإن فيه اختلافًا مشهورًا وأما السَنة فلابد من عددها ، إذ ليس لها حد ظاهر فى السماء فيحتاج إلى عددها بالشهور ولا سيما مع تطاول السنين وتعددها ، وجعل الله السنة اثنى عشر شهرًا كما قال تعالى : ﴿ **إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا فى كتاب الله** ﴾ وذلك بعدد البروج التى تكمل بدور الشمس فيها السنة الشمسية فإذا دار القمر فيها كلها كملت دورته السنوية ، وإنما جعل الله الاعتبار بدور القمر لأن ظهوره فى السماء لا يحتاج إلى حساب ولا كتاب بل هو أمر ظاهر يشاهد بالبصر بخلاف سير الشمس فإنه تحتاج معرفته إلى حساب وكتاب فلم يحوجنا إلى ذلك

كما قال النبى - ﷺ - : « **إنا أمة أمية لا تكتب ولا تحسب ، الشهر هكذا وهكذا وهكذا وأشار بأصابعه العشر وخنم إبهامه فى الثالثة - صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غم عليكم فأكملوا العدة** » وإنما علق الله تعالى على الشمس أحكام اليوم من الصلاة والصيام حيث كان ذلك أيضًا مشاهدًا بالبصر لا يحتاج إلى حساب ولا كتاب ، فالصلاة تتعلق بطلوع الفجر وطلوع الشمس وزوالها وغروبها ، ومصير ظل الشىء مثله وغروب الشفق ، والصيام يتوقت بمدة النهار من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، وقوله تعالى : ﴿ **والحساب** ﴾ يعنى بالحساب ، حساب ما يحتاج إليه الناس من مصالح دينهم ودنياهم كصيامهم وفطرهم وحجهم وزكاتهم ونذورهم وكفاراتهم وعِدد نسائهم ومُدد إيلائهم ومُدد إجاراتهم وحلول آجال ديونهم وغير ذلك مما يتوقت بالشهور والسنين » ا.هـ وبهذا الكلام القيم يصطلح كل فريق على حقه ، فالشمس والقمر آيتان من آيات الله ولكل منهما وظيفة ومهمة وفائدة والسعيد من اغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات وتقرب فيها إلى مولاه بما فيها من وظائف الطاعات ، والناس يقسمون السنة الشمسية إلى فصول ، ويطلقون عليها الربيع ، والصيف ، والخريف ، والشتاء . يقول صاحب المصباح : « والسنة أربعة (أزمنة) وهى الفصول أيضًا ، فالأول الربيع وهو عند الناس الخريف ، سمته العرب (ربيعًا) لأن أول المطر يكون فيه وبه ينبت الربيع ، وسماه الناس خريفًا لأن الثمار تخترف فيه أى تقطع ودخوله عند حلول الشمس رأس الميزان . والثانى (الشتاء) ودخوله عند حلول الشمس رأس الجَدْى ، والثالث (الصيف) ودخوله عند حلول الشمس رأس الحَمَل وهو عند الناس الربيع ، والرابع (القيظ) وهو عند الناس الصيف ، ودخوله عند حلول الشمس رأس السرطان »

ا.هـ روى أبو هريرة -رضى الله عنه- عن النبى -ﷺ- قال : «**اشتكت النار إلى ربها فقالت يارب أكل بعضى بعضًا فأذن لها بنفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف فاشد ما تجدون من الحر من سموم جهنم وأشد ما تجدون من البرد من زمهرير جهنم**» متفق عليه ، وروى أبو سعيد الخدرى -رضى الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال : «**الشتاء ربيع المؤمن**» أخرجه أحمد والبيهقى وغيره وزاد فيه «**طال ليله فقامه وقصر نهاره فصامه**» فإذا كنا نستعد لبرد الشتاء وحر الصيف فالواجب علينا أن نأخذ لأنفسنا بأسباب النجاة من النار ودخول الجنة ونحرص على طاعة الله صيفًا وشتاءً ، وليلاً ونهارًا ، فإذا تقاعست النفس يومًا بسبب الحر فذكرها بقوله سبحانه : ﴿**قل نار جهنم أشد حرًا لو كانوا يفقهون**﴾ ولا صبر لأحد على نار جهنم ، وكما قالوا : « ما رأيت مثل الجنة نام طالبها ولا مثل النار نام هاربها » .. وأما الربيع فهو أطيب فصول السنة وهو يذكر بنعيم الجنة وطيب عيشها ، روى أبو سعيد الخدرى -رضى الله عنه- عن النبى -ﷺ- قال : «**إن أخوف ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض ، قيل ما بركات الأرض قال زهرة الدنيا ، فقال له رجل هل يأتى الخير بالشر فصمت رسول الله -ﷺ- حتى ظننت أنه سينزل عليه ثم جعل يمسح عن جبينه ، قال أين السائل : قال : أنا قال : لا يأتى الخير إلا بالخير ، إن هذا المال خضرة حلوة ، وإن كل ما أنبت الربيع يقتل حبطًا أو يلم إلا آكلة الخضر أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت الشمس فاجترت وثلطت وبالت ثم عادت فأكلت وإن هذا المال خضرة حلوة ، من أخذه بحقه ووضعه فى حقه فنعم المعونة هو ، وإن أخذه بغير حقه كان كالذى يأكل ولا يشبع**» أخرجاه فى الصحيحين ، وهذا

مثل من يأخذ الدنيا بشره وجوع نفس و يبالى بحلالها وحرامها فالحلال عنده ما حل بيده وقدر عليه ، والحرام عنده ما منع منه وعجز عنه وشأنه كشأن الدواب التى ترعى فى زمان الربيع وتأكل من النبات أكثر من قدر حاجتها فإما أن يقتلها وتموت حبطًا ، والحبط انتفاخ البطن من كثرة الأكل أو يقارب قتلها ويلم به فتمرض منه مرضًا مخوفًا مقاربًا للموت . والثانى هو المقتصد الذى يأخذ المال من حله وينفقه فى حقه فشأنه كشأن آكلة الخضر وهى دويبة تأكل من الخضر بقدر حاجتها إذا احتاجت إلى الأكل ثم تصرفه عنها فتستقبل الشمس فتصرف بذلك ما فى بطنها وتخرج منه ما يؤذيها من الفضلات ، **وكان النبى - ﷺ - يتخوف على أمته من فتح الدنيا عليهم فيخاف عليهم الافتتان بها** ، والحاصل من ذلك أن كل ما فى الدنيا فهو مذكر بالآخرة ودليل عليه ، فنبات الأرض واخضرارها فى الربيع بعد محولها ويبسها فى الشتاء وايناع الأشجار واخضرارها بعد كونها خشبا يابسًا يدل على بعث الموتى من الأرض .
قال ميمون بن مهران لجلسائه يا معشر الشيوخ ما ينتظر بالزرع إذا ابيض قالوا الحصاد ، فنظر إلى الشباب فقال يا معشر الشباب إن الزرع قد تدركه الآفة قبل أن يستحصد .

المراقبة يا عباد الله

قال محمد بن على الترمذى : « اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك ، واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمته عنك . واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه » .

وقال ابن القيم رحمه الله : « العبد من حين استقرت قدمه فى هذه الدار فهو مسافر فيها إلى ربه ، ومدة سفره عمره ، والأيام والليالى مراحل ، فلا يزال يطويها حتى ينتهى السفر ، فالكيس لا يزال مهتمًا بقطع المراحل فيما يقربه إلى الله ليجد ما قدم محضرًا ، ثم الناس منقسمون إلى أقسام ، منهم من قطعها متزودًا بما يقربه إلى دار الشقاء من الكفر وأنواع المعاصى ، ومنهم من قطعها سائرًا فيها إلى الله وإلى دار السلام ، وهم ثلاثة أقسام : سابقون ، أدوا الفرائض وأكثروا من النوافل بأنواعها ، وتركوا المحارم والمكروهات وقضوا المباحات ، ومقتصدون أدوا الفرائض وتركوا المحارم ، ومنهم الظالم لنفسه ، الذى خلط عملاً صالحًا وآخر سيئًا ، وهم فى ذلك درجات يتفاوتون تفاوتًا عظيمًا ا.هـ .

وقال أيضًا رحمه الله : « وعمارة الوقت الاشتغال فى جميع آنائه بما يقرب إلى الله أو يعين على ذلك من مأكل ومشرب أو منكح أو منام أو راحة ، فإنه متى أخذها بنية القوة على ما يحبه الله وتجنب ما يسخطه ، كانت من عمارة الوقت وإن كان له فيها أتم لذة فلا تحسب عمارة الوقت

بهجر اللذات والطيبات فالمحب الصادق ، ربما كان سيره القلبى فى حال أكله وشربه وجماع أهله وراحته أقوى من سيره البدنى فى بعض الأحيان .

وقال : « السنة شجرة والشهور فروعها ، والأيام أغصانها ، والساعات أوراقها ، والأنفاس ثمرها ، فمن كانت أنفاسه فى طاعة فثمرة شجرته طيبة ومن كانت فى معصية فثمرته حنظل وإنما يكون الجداد يوم المعاد فعند ذلك يتبين حلو الثمار من مرها » فخف من الله على قدر قربه منك وقدرته عليك ، فلست تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره ولا من ملكه إلى ملك غيره .

إذا خلوت الدهر يومًا فلا تقل خلوت ولكن قل علىَّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيب

وعظم الله ولا تتجاوز حدوده، وذكر بأيام الله فقد أُمر نبى الله موسى –عليه السلام– أن يذكر بنى إسرائيل بهذه الأيام وما حدث فيها من عظات وعبر فقال سبحانه : ﴿ **وذكرهم بأيام الله** ﴾ .

الخاتمــة

عندما نجد البعض فى الشرق أو الغرب يُعرض ويتباعد عن يهوديته أو نصرانيته فهذا له عذره المقبول ، وذلك لما داخل التوراة والإنجيل من تحريف وتغيير وتبديل، ولا نكاد نرى مبررًا أو نجد عذرًا مقبولاً للمسلمين أو لهذه الأمة عندما يصبح دينها فى واد ، وهى فى واد آخر ، تعيش حياة المذلة والمهانة والضياع لكونها لم تأخذ بأسباب سعادتها المرسومة فى كتاب الله وسنة نبيه - ﷺ - ، ويشتد بك العجب عندما ترى أحفاد خير أمة أخرجت للناس قد ذهبوا للغرب الضائع والشرق التائه يتلمسون عندهم العزة والخلاص مما يعانونه من كرب وأزمات أى أن حالنا كالمستجير من الرمضاء بالنار ، ونتداوى بالتى هى الداء ، وأصبحنا كما يقول الشاعر :

كالعير بالرمضاء يقتله الظما والماء فوق ظهوره محمول

فيا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به ، واعلموا أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ﴿ **فلا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين** ﴾ فحققوا شرط الإيمان فى أنفسكم ، ينجز لكم ربكم ما وعدكم فى دنياكم وأخراكم ، فإنه سبحانه لا يضيع أجر المحسنين ، وقد جعل العاقبة للمتقين ، كما أنه جل وعلا : ﴿ **لا يصلح عمل المفسدين** ﴾ فاستمسكوا بدينكم وعضوا عليه بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، وصدق من قال : « **أقيموا دولة الإسلام فى نفوسكم تقم لكم على**

أرضكم ، واعلموا أن الطاعة عز ونصر وتمكين ، والمعصية بضد ذلك فاحذروها على أنفسكم ، وكان شداد ابن أوس يقول : « **الطاعة تدل على أختها والمعصية تدل على أختها ، وإذا رأيت الرجل يعمل بطاعة الله ، فاعلم أن لها عنده أخوات وإذا رأيت الرجل يعمل بمعصية الله ، فاعلم أن لها عنده أخوات** . وكان يقول أيضًا : « اعلموا أنكم لن تروا من الخير إلا أسبابه ولن تروا من الشر إلا أسبابه ، فالخير بحذافيره فى الجنة ، والشر بحذافيره فى النار ، والدنيا عَرض حاضر يأكل منها البر والفاجر ، والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر ولكل دار بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا .

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك .

كتبه

سعيد عبد العظيم

وكان الفراغ منه يوم ١٩ جمادى الآخرة سنة ١٤٠٣ هـ

الفهـــرس